جامعة الكويت

حوليات كلية الآداب

عبد الله بن سبأ

دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة

د. عبد العزيز صالح الهلابي
قسم التاريخ - جامعة الملك سعود

الحولية الثامنة
الرسالة الخامسة والأربعون

١٤٠٧ / ١٤٠٨هـ
١٩٨٦ / ١٩٨٧م

مجلس التحرير

د. خلدون حسن النقيب — رئيس مجلس التحرير

هيئة التحرير:

د. عبدالمحسن مدعج المدعج — رئيس هيئة التحرير

أ. د. فؤاد حسن زكريا

د. منصور أحمد بوخمسين

د. محمد سليمان الحداد

د. محمد رجا الدريبي

أ. د. سعد عبدالرحمن

أ. د. أحمد علي اسماعيل

د. توفيق الفيل

ثمن الرسالة

الكويت ٥٠٠ فلس ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ قطر ٨ ريالات ـ الامارات ٨ دراهم ـ السعودية ٨ ريالات ـ عمان ريال واحد ـ اليمن الجنوبي ٥٠٠ فلس ـ اليمن الشمالي ٥ ريالات ـ العراق ٥٠٠ فلس ـ مصر ٥٠ قرشا ـ لبنان ١٠ ليرات ـ الأردن ـ ٥٠٠ فلس ـ سوريا ١٠ ليرات ـ السودان ٥٠٠ مليم ـ ليبيا ٨٠ قرشا ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ تونس ٥٠٠ مليم ـ المغرب ٨ دراهم.

الاشتراك السنوي لعدد (٨) رسائل

		الاشتراك	المجلد
الكويت	افراد	٤ د.ك	٦ د.ك
	مؤسسات	١٦ د.ك	١٨ د.ك
الدول العربية	افراد	٥ د.ك	٧ د.ك
	مؤسسات	١٨ د.ك	٢٠ د.ك
الدول الاجنبية	افراد	٣٢ دولار	٤٠ دولار
	مؤسسات	٦٤ دولار	٧٠ دولار

لأعضاء هيئة التدريس والطلاب خصم ٥٠٪

جميع المراسلات الخاصة بشروط النشر أو أية إستفسارات أخرى بشأن الحوليات توجه الى رئيس هيئة تحرير الحوليات ـ ص . ب : ١٧٣٧٠ الخالدية ـ الكويت : 72454

حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الكويت

دورية علمية محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكلية الآداب

الحولية الثامنة — الرسالة الخامسة والأربعون

١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م

صدر من هذه الحوليات

الحولية الأولى لعام ١٩٨٠ :

الرسالة الأولى : الجذور الفلسفية للبنائية — د. فؤاد زكريا
الرسالة الثانية : صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا — د. محمد عيسى صالحية
الرسالة الثالثة : ابن قلاقس، حياته وشعره — د. سهام الفريح
الرسالة الرابعة : الأمير تنكز الحسامي — د. حياة ناصر الحجي
الرسالة الخامسة : التدرج الطبقي الاجتماعي في بعض الأقطار العربية (باللغة الانجليزية) — د. خلدون حسن النقيب

الحولية الثانية لعام ١٩٨١ :

الرسالة السادسة : علي أحمد باكثير — د. محمد عبده
الرسالة السابعة : تحليل اخطاء الطلبة العرب في استعمال أدوات التعريف والتنكير الانجليزية (باللغة الانجليزية) — د. نايف خرما
الرسالة الثامنة : دولة المماليك ودولة مغول القفجاق — د. حياة ناصر الحجي
الرسالة التاسعة : المرأة والفلسفة — د. محمود رجب

الحولية الثالثة لعام ١٩٨٢ :

الرسالة العاشرة : الروابط العائلية القرابية في مجتمع الكويت المعاصر — د. فهد ثاقب الثاقب
الرسالة الحادية عشرة : البيئة والسلوك — د. طلعت منصور
الرسالة الثانية عشرة : عالمية الحضارة الاسلامية ومظاهرها في الفنون — د. صلاح الدين البحيري
الرسالة الثالثة عشرة : لورنس ومحفوظ، دراسة أدبية سيكلوجية، مقارنة — د. محمد رجاء الدريني
الرسالة الرابعة عشرة : آل قدامة والصالحية — د. شاكر مصطفى

الحولية الرابعة لعام ١٩٨٣ :

الرسالة الخامسة عشرة : أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية — د. عبدالعال سالم مكرم
الرسالة السادسة عشرة : مفهوم التفسير في العلم من زاوية منطقية — د. عزمي موسى اسلام
الرسالة السابعة عشرة : العمل الاجتماعي في المجال التربوي — د. جلال الدين الغزاوي
الرسالة الثامنة عشرة : وحدة ميتافيزيقيا أرسطو ومنزلة الرياضيات فيها — د. أبو يعرب المرزوقي
الرسالة التاسعة عشرة : مفهوم التهكم عند كير كجور — د. امام عبدالفتاح

الحولية الخامسة لعام ١٩٨٤ :

الرسالة العشرون : «نظرة في قرينة الاعراب» في الدراسات النحوية القديمة والحديثة — د. محمد صلاح الدين بكر
الرسالة الحادية والعشرون: الاخرويات الاسلامية في الكوميديا الالهية (باللغة الانجليزية) — د. رشا حمود الصباح
الرسالة الثانية والعشرون : تسع وثائق في شئون الحسبة على المساجد في الأندلس — د. محمد عبدالوهاب خلاف
الرسالة الثالثة والعشرون : مشروع سوريا الكبرى وعلاقته بضم الضفة الغربية — د. أحمد عبدالرحيم مصطفى
الرسالة الرابعة والعشرون: مفاهيم العلاج النفسي وانماط التفاعل داخل الأسر المريضة (النشأة والتطور) — د. حامد عبدالعزيز الفقي

الحولية السادسة لعام ١٩٨٥ :

الرسالة الخامسة والعشرون: نحاة القيروان — د. يوسف أحمد المطوع

الرسالة السادسة والعشرون: من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية — د. محمد عيسى صالحية

الرسالة السابعة والعشرون: الفصاحة: مفهومها وبم تتحقق. قيمها الجمالية — د. توفيق علي الفيل

الرسالة الثامنة والعشرون: مشكلة التأويل العقلي عند مفكري الاسلام في المشرق العربي وخاصة عند ابن سينا — الاستاذ / سعيد زايد

الرسالة التاسعة والعشرون: واقع التاريخ في رواية وجوب العنف (باللغة الانجليزية) — د. رشا حمود الصباح

الرسالة الثلاثون: مكانة رواية روبنسون كروزو في القصص اللايوطوبي (باللغة الانجليزية) — د. محمد رجا الدريني

الرسالة الحادية والثلاثون: مفهوم المعنى «دراسة تحليلية» — د. عزمي موسى اسلام

الرسالة الثانية والثلاثون: الوصايا ومدى تطورها في العصر العباسي الأول — د. سهام الفريح

الحولية السابعة لعام ١٩٨٦ :

الرسالة الثالثة والثلاثون: بردة البوصيري قراءة أدبية وفلكورية — د. محمد رجب النجار

الرسالة الرابعة والثلاثون: الارشاد النفسي تطور مفهومه وتميزه — د. عبدالله محمود سليمان

الرسالة الخامسة والثلاثون: اتجاهات الآباء والامهات الكويتيين في تنشئة الأبناء وعلاقتها ببعض المتغيرات — عبدالفتاح القرشي

الرسالة السادسة والثلاثون: علم العمران الخلدوني وعلم الاجتماع الحديث (باللغة الانجليزية) — د. فؤاد البعلي

الرسالة السابعة والثلاثون: قبلية تميم العربية بين الجاهلية والاسلام — د. عبدالجبار العبيدي

الرسالة الثامنة والثلاثون: عيوب الكلام، دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب — د. وسمية المنصور

الرسالة التاسعة والثلاثون: المواقع الاسلامية المندثرة في وادي حلي — د. احمد بن عمر الزيلعي

الرسالة الاربعون: البحر في شعر الاندلس والمغرب — د. منجد مصطفى بهجت

الحولية الثامنة لعام ١٩٨٧

الرسالة الحادية والاربعون: البيئة المائية في الاردن (باللغة الانجليزية) .... د. عبدالرحيم مسعد

الرسالة الثانية والاربعون: وثائق جديدة عن حملة سنان باشا الى اليمن (سنة ٩٧٦هـ/٦٨ - ١٥٦٩م) .... د. محمد عيسى صالحيه

الرسالة الثالثه والاربعون: التوجيه والارشاد النفسي للاطفال غير العاديين (دراسة تحليلية) .... د. محمد ماهر محمود

الرسالة الرابعة والاربعون: المراحل الارتقائية لمنهجية الفكر العربي الاسلامي — د. حسن عبدالحميد عبدالرحمن

الرسالة الخامسة والأربعون

عبد الله بن سبأ

دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة

د. عبد العزيز صالح الهلابي
قسم التاريخ - جامعة الملك سعود

حوليات كلية الآداب - الحولية الثامنة - ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م

المؤلف:

عبدالعزيز صالح الهلابي

* استاذ مشارك بقسم التاريخ، كلية الآداب - جامعة الملك سعود
الرياض - المملكة العربية السعودية.
* حصل على الدكتوراه في التاريخ الاسلامي من جامعة سينت اندروز بريطانيا ١٩٧٤م.

الاعمال الادارية التي زاولها:

* وكيل كلية الآداب.
* رئيس قسم الاعلام.
* عميد شؤون المكتبات.

من مؤلفاته العلمية:

* القاء الضوء على الدور المزعوم للقراء في معركة صفين.
* سرية زيد بن حارثة الى قبيلة بني فزارة (دراسة تحليلية للروايات التاريخية).
* الحياة العلمية والادبية في الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين.
* الآثار الرفيعة في مآثر بني ربيعة - لمحمد بن ابراهيم الربيعي. «تحقيق».

محتوى البحث

المحتوى	صفحة
ملخص	٩
مقدمة	١٠
عبدالله بن سبأ في روايات سيف بن عمر	١٣
ابن سبأ والسبأية في المصادر المتقدمة الاخرى	٤٨
ابن سبأ في كتب الفرق وكتب الأدب	٥٤
ابن سبأ عند الدارسين المعاصرين	٦٥
خاتمة	٨٦
الاحالات على المصادر والتعليقات	٨٨
المصادر والمراجع	١٠٠

ملخص

يقوم هذا البحث بصفة أساسية على تحليل روايات سيف بن عمر التاريخية عن «دور عبدالله بن سبأ في أحداث الفتنة زمن الخليفة عثمان بن عفان وفي معركة الجمل بعد ذلك»، والتي كانت مصدرا لكل المؤرخين عن «ابن سبأ» وكذلك الدارسين المعاصرين.

وقد تتبع الباحث أيضا ذكر كلمة «السبأية» في المصادر الاسلامية المبكرة الاخرى وبيّن أن هذه المصادر لاتتفق في مابينها على مفهوم محدد لمعنى «السبأية» كما أنها لاتتفق أيضا مع سيف بن عمر في المقصود بها.

وناقش الباحث بعض روايات كتب الفرق والأدب عن «دور ابن سبأ» ثم ختم البحث بعرض بعض آراء الدارسين المعاصرين وناقش منها مايحتاج الى مناقشة.

وقد خلص الباحث الى أن روايات سيف بن عمر وروايات كتب الفرق والأدب عن «ابن سبأ» غير صحيحة، وأن «ابن سبأ» شخصية وهمية، وأن الدور المنسوب اليه في خلق وتسيير أحداث الفتنة دور مزعوم.

مقـــــدمة :

إن الخلافات والمشاكل التي بدأت تنشب بين نفر من رجال الامصار الاسلامية: الكوفة والبصرة ومصر، وبين ولاة هذه الأمصار في خلافة عثمان بن عفان بعد سنة ثلاثين من الهجرة مالبثت أن تطورت وخرجت عن إطارها الاقليمي لتمتد إلى المدينة عاصمة الخلافة. فقد تآمر جماعة من أهل هذه الأمصار وتركوا جبهات الجهاد ثم غزوا مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في نهاية سنة خمس وثلاثين هجرية، ولم يكن في المدينة جيش، ولم يكن للخليفة حرس، وطلبوا من الخليفة أن يخلع نفسه فرفض طلبهم، فحاصروه في داره أياما ومنعوا وصول الماء إليه، ثم لم تلبث أن تسلقت زمرة منهم داره وقتلوه بسيوفهم وهو يتلو كتاب الله. وكان ـ رحمه الله ـ رغب أن يلقى ربه على هذه النهاية حيث أنه صرف كل من جاء ليدافع عنه، إذ لم يكن يرغب أن يراق دم أحد بسببه.

والحقيقة أن هذا الحادث المؤلم المشؤم الذي سماه المسلمون «الفتنة» كاد أن يعصف بالأمة الاسلامية الفتية لولا أن تداركها الله بلطفه.

وقد وضع هذا الحادث نهاية للمدينة كعاصمة للخلافة الاسلامية ثم إنه جر في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب حروبا وويلات ذهب فيها آلاف المسلمين، فلم يستقر لعلي في خلافته القصيرة حال ولم يهدأ له بال حتى لقي مصرعه ـ رحمه الله ـ علي يد رجل كان يوما من جنده وأنصاره.

ولم يكن يخطر ببال أحد ـ في باديء الأمر ـ أن قتل الخليفة عثمان سوف ينجم عنه تلك النتائج الوخيمة.

والواقع أن تلك الأحداث أقلقت ضمير الأمة فمن نادم على الطعن على عثمان في حياته، إذ لم يكن يظن أن الأمور تصل إلى ما وصلت إليه، ومن نادم على خذلانه وعدم نصرته، إلى ناقم على بني أمية عامة الذين ارتكزت دعواهم في الخلافة ـ في أول امرها ـ على الطلب بدم عثمان والقرابة منه وامتدت النقمة من المتأخرين إلى عثمان أيضا.

ومن هنا جاءت الروايات عن أحداث الفتنة وما نجم عنها كثيرة متضاربة وعكست بشكل كبير مواقف أصحابها من الأحداث [1]. أما الروايات المحايدة فهي قليلة إذا قيست بذلك الكم الوافر من الروايات ذات الميول لهذا الفريق أو ذاك.

ونحن لن نتناول في هذا البحث دراسة جميع الروايات عن أسباب الفتنة ونتائجها، ولكننا سنقصر دراستنا فقط على تلك الروايات التي تجعل لعبدالله بن سبأ دورا رئيسيا فيها.

والواقع أن «عبدالله بن سبأ» استأثر باهتمام الدارسين المعاصرين من عرب ومستشرقين فمنهم من أفرد له دراسة مستقلة، ومنهم من خصه بالاهتمام أثناء دراسته لفترة صدر الاسلام. ويعود ذلك الاهتمام إلى الدور الخطير الذي نسبته له بعض الروايات التاريخية في خلق وتسيير أحداث الفتنة، وإلى مانسبته اليه كتب الفرق والمقالات وغيرها من أنه هو الذي انشأ فرقة من غلاة الشيعة.

وإذا فموضوع «ابن سبأ» لم يكن موضوعا جديدا لم يتطرق إليه الباحثون، بل انه من أكثر المواضيع التي اهتموا بدراستها، ومع ذلك فإني آمل أن أسهم ولو إسهاما متواضعا في إلقاء مزيد من الضوء على تلك «المشكلة التاريخية». ويأتي ذلك في إطار الحرص على إعادة النظر في تاريخنا الاسلامي، وإعادة تقييم بعض رواياته، وتنقيته ـ ما أمكن ـ مما شابه من روايات موضوعة أو مدسوسة راجين من الله التوفيق والسلامة من الزلل.

واهتمامنا يتركز في هذه الدراسة بصفة رئيسية على نقد روايات «سيف بن عمر» عن «ابن سبأ ودوره في الأحداث». على أن ضرورة البحث تلزمنا بالوقوف على ماتناقلته كتب الفرق والمقالات وغيرها عن عقيدة ابن سبأ على أن ذلك الوقوف لن يكون طويلا حيث أننا سُبِقنا إلى عرض وجهة نظر أصحاب الفرق والمقالات حول «ابن سبأ وطائفة السبأية»، لكننا سوف نتعرض بالنقد للرواية المنسوبة لعامر بن شراحيل الشعبي والتي قد تكون هي الأساس الذي اعتمد عليه مؤلفو كتب الفرق والمقالات وغيرهم في تحديد «مذهب السبأية» كما أننا سنعرض نماذج قليلة من مقولات أصحاب الفرق والمقالات تعكس مناهجهم في كتبهم.

وضرورة البحث تلزمنا أيضا عرض بعض آراء الدارسين المعاصرين عن «ابن سبأ والسبأية» وسوف نناقش منها مانرى أنه بحاجة إلى مناقشة. على أن آراء البعض الآخر منهم ليس فيها جديد بل هي تكرار في معظمها، لذا نرى أنه لا داعى لاقتباسها وسوف نكتفي بالاشارة إليها فقط في الهوامش.

أولا : عبدالله بن سبأ في روايات سيف بن عمر.

ينفرد الإخباري سيف بن عمر التميمي (ت ١٨٠هـ) من بين قدامى الإخباريين والمؤرخين المسلمين بذكر عبدالله بن سبأ في رواياته ويجعل له دورا رئيسيا في التحريض على الفتنة وقتل الخليفة عثمان وإنشاب القتال في معركة الجمل في البصرة. كما أن سيفا يذكر أيضا اسمه وأصله ومنشأه وعقيدته. وسيف له من الكتب: «كتاب الفتوح الكبير والردة» و «كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي»[٢]. وفي رأيي أنه لابد أن يكون لسيف كتاب عن «الفتنة، أو يوم الدار، أو مقتل عثمان» أو أن عنوان الكتاب الأخير: «كتاب الفتنة والجمل ومسير عائشة وعلي» لأن الطبري ينقل عنه أخبارا كثيرة عن أحداث الفتنة لايمكن أن تصنف ضمن أخبار «وقعة الجمل». ومن هذه الأخبار أخباره عن «ابن سبأ» وقد حفظت في معظمها عند الطبري (ت ٣١٠هـ) وفي أقلها عند ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) في «تاريخ دمشق»[٤]. وكل من نقل أخبار «ابن سبأ» ـ حسب علمنا ـ في أحداث الفتنة ومعركة الجمل غير هؤلاء فهم ينقلون عن الطبري كابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) في كتابه «الكامل في التاريخ» وابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في «البداية والنهاية» وابن خلدون (ت٨٠٨هـ) في كتابه «العبر» وغيرهم من المؤلفين المتأخرين.

أما الرواة والإخباريون المتقدمون كعروة بن الزبير (ت ٩٤هـ) ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) وابن اسحاق (ت ١٥٠هـ) والواقدي (ت ٢٠٧هـ/٨٢٣) وخليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) في تاريخه وابن سعد (ت ٢٣٠هـ) في «كتاب الطبقات» وابن عبدالحكم (ت ٢٥٧هـ) في كتابه «فتوح مصر وأخبارها» وأبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ) في كتابه «الأخبار الطوال» والكندي (ت ٢٨٣هـ) في «كتاب الولاة والقضاة» واليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) في «تاريخه» والمسعودي (ت ٣٤٦هـ) في كتبه وغيرهم من مؤرخي القرن الثالث والرابع الهجريين فلم يرد عند أحد من هؤلاء في «مروياتهم» أو في كتب المؤلفين منهم أي ذكر عن ابن سبأ ودوره في الأحداث.

وما هو جدير بالاهتمام ملاحظة أن «سيفا» يرى القصة الرئيسية «لابن سبأ ودوره» بهذا الاسناد: «سيف عن عطية، عن يزيد الفقعسي».

فأما عطية فهو عطية بن الحارث الهمداني، أبو روق، ويحفظ الطبري له في تاريخه سبعا وأربعين رواية عن طريق سيف بن عمر وغيره، كما أن له روايات متفرقة في كتاب «وقعة صفين» لنصر بن مزاحم وفي تراجم الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء» وغيرها. وعطية كراوٍ للحديث يتمتع بسمعة طيبة عند أصحاب كتب الجرح والتعديل(٥). وتجدر الاشارة بأن سيفا يروى عن عطية أخبارا مفصلة عن «دانيال وابنه بالسوس»(٦) ولايمكن تصنيف هذه الأخبار خارج إطار الأساطير والاسرائيليات، وفي نفس الوقت تدل على معرفة قوية بهذه الأساطير إن لم يكن ساهم أحدهما فى كتابتها.

أما يزيد الفقعسي فقد جاء في الإسناد السابق في خمس روايات ثلاث منها تتعلق بدور ابن سبأ في الفتنة (٧) ورواية تتعلق بموقف عثمان وعلي من والى الكوفة الوليد بن عقبة واتهامه بشرب الخمر(٨) والرواية الخامسة عن خبر وفاة أبي ذر(٩). إذا فكل الروايات الخمس لها علاقة بالفتنة بطريق مباشر أو غيرمباشر.

ويزيد الفقعسي شخص نكرة لايوجد له في تاريخ الطبري غير الروايات الخمس كما لم أجد له أي ذكر في كتب التاريخ وكتب التراجم وكتب الجرح والتعديل التي اطلعت عليها.

أما بقية روايات «سيف» عن أحداث «الفتنة» و«معركة الجمل» والتي يذكر فيها «ابن السوداء» و«السبأية» فعدا روايتين(١٠) جاءت كلها بهذا الإسناد:

«. . . سيف، عن محمد وطلحة قالا: (١١)

ويلاحظ أنها لم تذكر «عبد الله بن سبأ»بل «عبد الله بن السوداء أو ابن السوداء» أما السبأية فيلاحظ من إطلاقها أنها تعني عموم المشاركين في الثورة على عثمان.

وسوف نسوق فيما يلي نصوص وروايات سيف عن أحداث «الفتنة» وعن «معركة الجمل» في قسمين منفصلين ثم نناقش كل قسم على حدة وبعد ذلك سوف يكون لنا وقفة مع سيف نفسه لنتبين موقفه من الأحداث التي روى أخبارها وأثر موقفه على رواياته.

القسم الأول

روايات سيف عن أحداث الفتنة

لدينا ثلاث روايات لسيف عن أحداث الفتنة وهي :

الرواية الأولى : أحداث سنة ٣٠هـ

يروى الطبري قصة الخلاف الذي نشب بين الصحابي أبي ذر الغفاري وأمير الشام معاوية بن أبي سفيان فيقول:

وقد ذكر في إشخاصه إياه أمور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها. فأما العاذرون لمعاوية في ذلك، فإنهم ذكروا في ذلك قصة كتب بها إليّ السري يذكر أن شعيبا حدثه عن سيف عن عطية، عن يزيد الفقعسي قال:

لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر فقال: يا أبا ذر، ألا تعجب إلى معاوية يقول: المال مال الله! قال: يرحمك الله ياأبا ذر، ألسنا عباد الله، والمال ماله، والخلق خلقه، والأمر أمره! قال: فلا تقله. قال: فاني لا أقول: إنه ليس لله، ولكن سأقول: مال المسلمين قال: وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال: من أنت؟ أظنك والله يهوديا! فأتى عبادة بن الصامت فتعلق به، فأتى به معاوية فقال: هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر. وقام أبو ذر في الشام وجعل يقول: يامعشر الأغنياء واسُوا الفقراء. بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، فمازال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء، وحتى شكا الأغنياء مايلقون من الناس. . .[١٢].

الرواية الثانية : أحداث سنة ٣٣هـ

. . عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي قال :

لما مضى من إمارة ابن عامر ثلاث سنين[١٣]، بلغه أن في عبد القيس رجلا نازلا على حكيم بن جبلة، وكان حكيم رجلا لصا، إذا قفل الجيوش خنس عنهم، فسعى في أرض فارس، فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد في الأرض. ويصيب ماشاء ثم يرجع. فشكاه أهل الذمة والقبلة إلى عثمان. فكتب إلى عبد الله بن عامر : أن

احبسه ومن كان مثله فلا يخرجّن من البصرة حتى تأنسوا منه رشدا. فحبسه فكان لايستطيع أن يخرج منها.

فلما قدم ابن السوداء نزل عليه، واجتمع إليه نفر، فطرح لهم ابن السوداء ولم يصرّح، فقبلوا منه، واستعظموه. وأرسل اليه ابن عامر فسأله: ماأنت؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام، ورغب في جوارك. فقال: مايبلغني ذلك عنك، أخرج عني. فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها، فاستقر بمصر وجعل يكاتبهم ويكاتبونه، ويختلف الرجال بينهم[١٤].

الرواية الثالثة : أحداث سنة ٣٥هـ

. . . عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي قال :

كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على مايريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم.

فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدا يرجع، وقد قال عز وجل: «إِنَّ الذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القرآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ»[١٥]. فمحمد أحق بالرجوع من عيسى. قال: فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها.

ثم قال لهم بعد ذلك : إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد، ثم محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء.

ثم قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وصلم، ووثب على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتناول أمر الأمة!

ثم قال بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدءوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر.

فبثّ دعاته، وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ماعليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الامصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مِصرٍ منهم إلى مصرٍ آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة . . . فيقول أهل كل مِصرٍ إنا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء إلا أهل المدينة فاتهم جاءهم ذلك عن جميع أهل الامصار فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس.

وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان، قالوا: فأتوا عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين، أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ قال: لا والله، ما جاءني إلا السلامة. قالوا: فإنا قد أتانا.. وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم. قال: فأنتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا عليّ؟ قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالا ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم. فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام وفرّق رجالا سواهم، فرجعوا جميعا قبل عمار. فقالوا: أيها الناس، ما أنكرنا شيئا، ولا أنكره أعلام المسلمين ولاعوامهم. وقالوا جميعا: الأمر أمر المسلمين، إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم، ويقومون عليهم. واستبطأ الناس عمارا حتى ظنوا أنه قد اغتيل، فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم: أن عمارا قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا إليه منهم عبدالله بن السوداء، وخالد بن ملجم، وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر[١٦].

رواية مكملة:

حفظ الذهبي في كتابه «تاريخ الاسلام» قطعة يبدو أنها مكملة للرواية الثالثة، وقد أغفلها الطبري، ونصها:

وقال سيف عن عطية، عن يزيد الفقعسي قال:

لما خرج ابن السوداء إلى مصر نزل على كنانة بن بشر مرة وعلى سودان بن حمران مرة، وانقطع إلى الغافقي فسحبه[؟] الغافقي فكلمه، وأطاف به خالد بن

ملجم وعبد الله بن رزين وأشباه لهم، فصرّف لهم القول فلم يجدهم يجيبون إلى الوصية فقال: عليكم بباب العرب وحجرهم ولسنا من رجاله، فأروه انكم تزرعون ولاتزرعوا العام شيئا حتى تنكسر مصر، فنشكوه إلى عثمان فيعزله عنكم ونسأل من هو أضعف منه، ونخلوا بما نريد، نظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان أسرعهم إلى ذلك محمد بن أبي حذيفة، وهو ابن خال معاوية...

قال: ففعلوا ماأمرهم به ابن السوداء، ثم إنهم خرجوا ومن شاء الله معهم فشكوا عمرا واستعفوا منه. وكلما نهنه عثمان عن عمرو قوما وسكّنهم انبعث آخرون بشيء آخر وكلهم يطلب عبد الله بن سعد بن أبي سرح. فقال لهم عثمان: أما عمرو فسننزعه عنكم ونقره على الحرب. ثم ولى ابن ابي سرح خراجهم وترك عمرا على الصلاة، فمشى في ذلك سودان وكنانة بن بشر وخارجة فيما بين عبد الله بن سعد وعمرو بن العاص وأغروا بينهما حتى تكاتبا على قدر ما أبلغوا كل واحد. وكتبا إلى عثمان، فكتب ابن أبي سرح: «إن خراجي لايستقيم مادام عمرو على الصلاة». وخرجوا فصدقوه، واستعفوا من عمرو، وسألوا ابن أبي سرح. فكتب عثمان إلى عمرو: «انه لاخير في صحبة من يكرهك فأقبل ثم جمع مصر لابن ابي سرح»[١٧].

بعد أن نقلنا نصوص روايات سيف حول أحداث الفتنة سوف نتوقف لتحليلها: فالطبري يقول ـ عند سياقه للرواية الأولى حول الخلاف بين معاوية وأبي ذر ـ أن القصة هي قول العاذرين لمعاوية. والحقيقة أن سيفا ينفرد في إيراد هذه القصة ويخالف المؤرخين الآخرين الذين أوردوا قصة هذا الخلاف.

وأبو ذر الصحابي الجليل ليس ـ عند سيف ـ إلا إمعة يغرر به يهودي حاقد على الاسلام، ويملي عليه أفكاره، فأخذ أبو ذر يخلق المشاكل لأمير الشام معاوية ويحرض عليه وعلى الأغنياء والفقراء والغوغاء على حين أن الصحابيين الجليلين أبا الدرداء وعبادة بن الصامت لم ينطل عليهما خبث ومكر ذلك اليهودي. ومع أن سيفا أخبرنا بأن عبادة ابن الصامت أخذ ابن سبأ إلى معاوية وأخبره أنه هو الذي بعث إليه أبا ذر، لكن سيفا لم يخبرنا ماذا فعل به معاوية، وماحل بابن سبأ بعد ذلك.

وثمة نقطة في غاية الأهمية يجب أن نلفت الأنظار إليها وهي أن هذه الحادثة

وقعت في سنة ٣٠ من الهجرة على حين يخبرنا سيف في الرواية الثانية أن ابن سبأ لم يدخل في الاسلام إلا بعد ثلاث سنوات من إمارة عبد الله بن عامر على البصرة أي في سنة ٣٢هـ أو ٣٣هـ ـ وهو الأرجح ـ وقد أخرجه ابن عامر من البصرة.

ويذكر سيف في الرواية الثالثة: أن ابن سبأ تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام فلم يقدر على مايريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم[١٨].

والسؤال الذي نطرحه هنا: متى كان ابن سبأ في الشام؟ هل كان فيها في سنة ٣٠هـ أي قبل أن يسلم بثلاث سنوات ـ كما في الرواية الأولى، أم بعد أن اعتنق الاسلام، أي في سنة ٣٤هـ كما في الرواية الثالثة؟

لكن سيفا يروي عن يزيد الفقعسي أن أبا ذر توفي في الربذة في سنة ٣٢هـ[١٩]. وعن غير يزيد الفقعسي أنه توفي سنة ٣١هـ[٢٠]، وكانت وفاة أبي الدرداء سنة ٣١هـ أو سنة ٣٢هـ[٢١]. أما عبادة بن الصامت فكان يقيم بحمص وليس بدمشق ثم انتقل منها إلى فلسطين، ولم تكن علاقته بمعاوية على مايرام، وتوفي بالرملة سنة ٣٤هـ[٢٢].

والذي نخلص إليه من المقارنات السابقة أن قصة علاقة ابن سبأ بأبي ذر مختلفة من أساسها لاستحالة وقوعها حقيقة، وإذا كان الأمر كذلك فما الدافع لاختلاقها؟ الذي اعتقده أن الهدف من اختلاق هذه القصة هو الطعن على أبي ذر بسبب نقده الشديد للخليفة عثمان ولمعاوية عامله على الشام ولقريش عامة بسبب إثرائهم في عهدي عمر وعثمان. والقصة تجعل نقد أبي ذر لايستند إلى تعالم دينية ولكن الى أفكار يهودي حاقد على الاسلام.

ويجب أن أؤكد هنا أن ليس من شأننا في هذا البحث أن نناقش إن كان نقد أبي ذر موضوعيا أو غير ذلك، ومانقصد إثباته أن نقده كان اجتهادا منه ورأيا كان يراه ولم يمله عليه يهودي تقمص الاسلام ليهدمه من الداخل ـ حسب رواية سيف.

والذي يجمع عليه المؤرخون أن أبا ذر بدأ نقده للخليفة عثمان في المدينة في مرحلة مبكرة، فلما تبرم الخليفة من حدته في نقده أمره أن يلحق بمكتبه في الشام، أي

أن عطاءه مدون أصلا بديوان الشام، لكن أبا ذر استمر في نقده اللاذع لمعاوية وللأغنياء وفي دعوته إلى الزهد والتقشف الشديد، فشكاه معاوية إلى الخليفة عثمان، فكلف الأخير معاوية أن يسيره إلى المدينة. وطلب أبو ذر من الخليفة، أو الخليفة طلب منه - على خلاف في ذلك - أن يقيم في الربذة وهي من أرض الحمى[٢٣].

وإذا كان أبو ذر استاء عندما أبدى كعب الأحبار رأيه في مجلس الخليفة عثمان في أمر من أمور الدين، وشتمه قائلا: «ومايدريك يا ابن اليهودية. . .؟»[٢٤] فكيف يعقل أن يملي عليه عبد الله بن سبأ أفكاره في أمور الدين والدنيا؟

أما الرواية الثانية فلدينا عليها بعض التساؤلات: ماهي الصلة التي تربط هذا اليهودي اليماني بقبيلة عبد القيس؟ وقبيلة عبد القيس من ربيعة، وكانت تسكن في شرقي الجزيرة العربية (البحرين). ولماذا لم ينزل بأحد القبائل اليمانية في البصرة، الأزد مثلا؟ ونعرف أنه في ذلك الوقت كانت الروابط القبلية قوية، وكان تخطيط الكوفة والبصرة على أساس قبلي، أي أن كل قبيلة أعطيت ناحية من المدينة لتسكنها بمفردها.

وكيف عرف ابن سبأ حكيم بن جبلة؟ ثم كيف يقبل هؤلاء المسلمون البسطاء - من قبيلة عبد القيس - من ابن سبأ أفكاره المعقدة والمخالفة للاسلام؟ أكانت ردة جديدة؟

ولماذا يطلب والي البصرة ابن عامر من ابن سبأ الخروج من البصرة فقط فهل كان خطر ابن سبأ على ابن عامر وحده؟ ام أن افكاره خطرة على المسلمين في كل أمصارهم؟ لماذا لم يسجنه ويضربه؟ ثم إذا كان بهذه الخطورة لماذا لم يبلغ الخليفة عثمان عنه ويأتمر بأمره فيه؟ ألم يكتب ابن عامر إلى الخليفة عثمان في أمر عامر بن عبد القيس، الذي لم يكن بذي خطر على أحد وسار من البصرة إلى الشام؟[٢٥]

وتقول الرواية: «أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الاسلام». فهل أسلم فعلا؟ وعلى يد من تم هذا؟ ثم المفروض انه كان معروفا قبل إسلامه وأنه كان يدفع جزية لبيت المال.

أما الصورة التي رسم بها سيف «حكيم بن جبلة» لايتفق معه فيها المدائني والذهبي، فعمر بن شبة يروى عن المدائني عن شيوخه قال:

«قدم عبد الله بن عامر من المدينة حين رد عثمان رضي الله عنه عماله الى أمصارهم، فكان لين الجناح مترددا، مرّ برجل يحرش بين الأشراف، فأجرى الخيل، فسبقه حكيم بن جبلة، فغضب فأخذ خيلا له كانت بفارس، فغضب حكيم فجعل يعيب عثمان[٢٦].

أما الذهبي فيقول عن حكيم: «الأمير أحد الاشراف الأبطال. كان ذا دين وتأله. أمَّره عثمان على السِّند مدة، ثم نزل البصرة، وكان أحد الذين ثاروا في فتنة عثمان... [٢٧].

ومانقلناه عن المدائني والذهبي، وماذكره المسعودي أيضا[٢٨] لايعني تبرئة ساحته من الاشتراك في الفتنة، وسوف يلقى حسابه وهو يحمل وزر نفسه بدون أن يكون أضَلَّهُ ـ هو وأصحابه من أهل البصرة ـ يهودي حاقد على الاسلام ـ كما يصور سيف في روايته.

أما الرواية الثالثة فهي ذات شقين، الأول: دور ابن سبأ في الأحداث، والثاني: عقيدة ابن سبأ التي ينشرها بين أصحابه.

أما دوره في الأحداث فسيف بن عمر يفصِّل في هذه الرواية ماأجمله في الرواية الثانية حيث يذكر اسمه صريحا ومولده وصفة أمه وإسلامه. ويقول: «أنه تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام، فلم يقدر على مايريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم».

ومضمون كلام سيف أن كل من اشترك في الطعن على ولاة عثمان في الأمصار، أو اشترك في الثورة علي الخليفة نفسه فقد كان متأثرا بضلال هذا اليهودي. ويشترك في ذلك أهل الحجاز إذ يلاحظ أنه لم يستثن إلا أهل الشام حيث كانت طاعتهم لمعاوية وللخليفة مستقيمة.

وسيف هنا يناقض نفسه حيث أنه أخبرنا في الرواية الأولى بأن ابن سبأ نجح في الشام في إضلال ابي ذر وحرضه عل معاوية.

ولم يخبرنا سيف متى كان ابن سبأ في الكوفة؟ ومن هم أتباعه؟ ومن أحرجه منها، هل كان والي الكوفة أم أهلها؟

ويقول سيف: إن ابن سبأ كان يقول لأصحابه: «إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم.. فبث دعاته وكاتب من كان قد استفسد في الأمصار وكاتبوه».

وابن سبأ لايظهر في مصر، إلا في سنة ٣٥هـ ـ حسب رواية سيف ـ وهي السنة التي ثار فيها ثوار الأمصار وقتلوا الخليفة عثمان رضي الله عنه. وفي اعتقادي أن سيفا يهدف في روايته تلك ـ بطريق غير مباشر ـ الى دفع الروايات التي تعيب على عثمان تولية أقاربه الولايات وتنسب إليهم أفعالا وأقوالا لاتليق بالولاة ولابعامة الناس مثل، تهمة والي الكوفة الوليد بن عقبة بشرب الخمر، وقول سعيد بن العاص والي الكوفة بعد الوليد: «إنما السواد بستان لقريش». وخط سيف في رواياته واضح إذ هو الدفاع عن ولاة عثمان من أقاربه[٢٩].

وحقيقة الأمر أن الشكاية من ولاة الأمصار وطلب تبديلهم لم يكن شيئا جديدا زرعه ابن سبأ بين الناس وحرضهم عليه، فأهل الكوفة مثلا اشتكوا ولاتهم في عهد عمر وطلبوا تبديلهم فبدلهم وهم على التوالي: سعد بن أبي وقاص[٣٠]، وعمار بن ياسر[٣١]، وأبو موسى الاشعري[٣٢]. ألم يرو سيف نفسه أن عمر همه أمر أهل الكوفة مع ولاتهم هما شديدا، وقال عمر: «.... وأي نائب عظيم أعظم من مائة ألف لايرضون عن أمير ولايرضى عنهم امير....»[٣٣] وأتاه أصحابه فقالوا: «ياأمير المؤمنين، ماشأنك؟ قال: شأني أهل الكوفة قد عضّلوا بي...»[٣٤] وهذا يعود ـ في رأيي ـ إلى أن تركيب السكان في الكوفة يتكون من قبائل كثيرة متنافسة يصعب تحقيق التوازن بينها، هذا من ناحية، وإلى أن العرب لم يألفوا الانقياد إلى حكومة مركزية، من ناحية أخرى، فهم مع ميلهم إلى عدم الانضباط يريدون مثالية يستحيل تحقيقها.

ويذكر سيف في آخر الرواية أن الناس أخبروا عثمان بما يأتيهم من أهل الامصار، وأشاروا عليه أن يبعث رجالا يثق بهم لتقصي الحقائق في الأمصار،

فأرسل محمد بن مسلمة . . . وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر وفرق رجالا سواهم فرجعوا جميعيا قبل عمار. وقالوا جميعا: الأمر أمر المسلمين إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم. واستبطأ الناس عمارا. . . فلم يفجأهم إلا كتاب من عبدالله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم: «أن عمارا قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم عبدالله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر.

وفي اعتقادي ان إرسال هؤلاء الصحابة إلى الأمصار مسألة فيها نظر، إذ لايستبعد أن هذا الخبر قد لفق لهدفين، الأول: إبطال حجة الثوار وحجة من يناصرهم من الاخباريين المتأخرين الذين يطعنون على ولاة الأقاليم ثم امتد طعنهم إلى الخليفة عثمان الذي ولاهم على الناس، وطبقا لرواية سيف، فإن أعلام المسلمين وعامتهم في الأمصار يشهدون بأن ولاتهم يقسمون بينهم فيئهم وخراجهم بالقسط، وأنهم يقومون على شؤونهم ويرعون مصالحهم.

والثاني: أن الصحابي عمار بن ياسر ـ وكان مثل أبي ذر ينتقد عثمان ـ دخل في دائرة ابن السوداء وأصحابه.

ويشكك الدكتور جواد علي في إرسال عمار إلى مصر حيث يقول: «إما ارسال عمار بن ياسر إلى مصر فمسألة فيها نظر، وإن نص عليها بعض الاخباريين فقد كان عمار مخاصما لعثمان منتقدا له. وقد جادله مرارا واصطدم به مرارا اصطداما عنيفا. وكان متحاملا عليه فليس من المعقول تكليفه القيام بهذه المهمة الخطيرة، مهمة إشاعة الأمن والطمأنينية بين أهل مصر وهو نفسه من الناقمين عليه، خاصة إذا كانت إشارة من نصح عثمان بإرسال الرجال إلى الامصار ليرجعوا إليه بالأخبار الصحيحة عن الوضع بأن يكون أولئك الموفدون ممن يثق بهم الخليفة ويعتمد عليهم. ولم يكن عمار بإجماع الأخبار ممن تنطبق عليه جملة «من تثق بهم»[٣٥].

وقد أسلفت بذكر رأيي في عدم الاطمئنان إلى خبر إرسال هؤلاء الصحابة جملة وأضيف هنا أن سيفا يهدف إلى أن يجعل معارضة عمار لعثمان ونقده له بسبب تأثره بأفكار ابن سبأ اليهودي وبتحريض منه، مثله مثل أبي ذر.

وقبل أن نبدأ مناقشة الشق الثاني من الرواية الثالثة المتعلق بعقيدة ابن سبأ

نلقي النظر على «الرواية المكملة» لأنها تتعلق «بالاحداث» وهي تتضمن عدة أمور منها:

١ - أن ابن السوداء صرّف لهم القول فلم يجدهم يجيبون إلى الوصية.

٢ - أدرك ابن السوداء أنه يستحيل عليه تنفيذ مخططه في مصر مادام عمرو بن العاص واليا عليها، وكان لابدمن التخلص منه أولا. أما الوسيلة فقد أمر أعوانه بعدم الزراعة في ذلك العام حتى ينكسر خراج مصر ومن ثم يقومون بشكواه إلى الخليفة عثمان ويطلبون عزله.

٣ - نجح ابن السوداء في هذه المكيدة وذهب أتباعه إلى عثمان يستعفونه من عمرو، وحاول الخليفة أن يعدلهم عن هذا الطلب، لكن الوفود بدأت تتابع عليه تطلب عزل عمرو فأذعن الخليفة لرغبتهم، وعزل عمرا عن الخراج وولاه عبدالله ابن سعد بن أبي سراح بناء على رغبتهم أيضا لأنه في نظرهم ليس مثل عمرو في الدهاء والقوة ومن ثم فهم يستطيعون تنفيذ خططهم، على أن الخليفة أبقى عمرا على الحرب والصلاة.

٤ - قام أتباع ابن السوداء بالوشاية بين عمرو وابن أبي سرح وإغراء كل واحد منهما بصاحبه حتى كتب كل واحد منهما يشكو الآخر إلى عثمان ويطلب عزله. فخرج أتباع ابن السوداء وصدقوا ابن أبي سرح وطلبوا عزل عمرو، فتم لهم ما أرادوا وجمع الخليفة لابن أبي سرح الحرب والخراج، وبذلك نجح مخطط ابن السوداء وفقا للرواية.

وهذه «الرواية المكملة» لايمكن أن تصمد للنقد للأسباب الآتية:

يروي سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي: أن ابن السوداء (ابن سبأ) ظهر في مصر سنة ٣٥ هـ وكل مؤامراته ودسائسه فيها تمت في هذه السنة لكن سيفا يناقض نفسه إذ يروي في احداث سنة ٢٧هـ:

«عن محمد وطلحة قالا: مات عمر وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى قضائها خارجة بن حذافة السهمي، فَوَلِيَ عثمان فأقرهما سنتين، ثم عزل عمرا واستعمل عبدالله ابن سعد بن أبي سرح»[٣٦].

ويعطي الواقدي حول الموضوع نفسه رواية أكثر تفصيلا قال: «نزع عثمان عمرو بن العاص عن خراج مصر واستعمل عبدالله بن سعد على الخراج فتباغيا، فكتب عبدالله بن سعد إلى عثمان يقول: إن عمرا كسر الخراج. وكتب عمرو: إن عبدالله كسر علي حيلة الحرب. فكتب عثمان إلى عمرو: انصرف. فولى عبدالله بن سعد الخراج والجند. فقدم عمرو مغضبا فدخل على عثمان...»(٣٧).

ويقول خليفة بن خياط في أخبار سنة ٢٧هـ: «وفيها عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص وولاها عبدالله بن سعد بن أبي سرح»(٣٨).

وطبقا لرواية سيف «عن محمد وطلحة» يكون عثمان عزل عَمْرا سنة ٢٥هـ إذ أن عمر بن الخطاب قتل سنة ٢٣هـ. ويحتمل أن المقصود من الرواية أن عثمان عزل عَمْرا عن الخراج سنة ٢٥ هـ وظل على الحرب والصلاة إلى سنة ٢٧هـ حيث تم عزله نهائيا.

واعتمادا على الروايات التي سقناها فمما لاشك فيه أن رواية «سيف» التي نقلها الذهبي رواية مختلقة، لأن ابن سبأ لم يظهر على مسرح الأحداث ـ حسب رواية سيف ـ إلا في سنة ٣٠هـ أو ٣٢هـ في البصرة، وفي مصر سنة ٣٥هـ بينما عزل عثمان لعمرو عن مصر تم سنة ٢٧هـ حسب رواية معظم المؤرخين اي قبل قدوم ابن سبأ اليها بثمان سنوات.

وحتى لو افترضنا أنه لايوجد لدينا روايات تناقض رواية «سيف» التي حفظها الذهبي فإنه يستحيل قبولها لأنه لايمكن أن تتم كل تلك الأحداث في سنة واحدة (٣٥هـ).

وهدف سيف من اختلاق هذه الرواية هو الرد على هؤلاء الذين يقولون: أنه لما ولي عثمان أحبته قريش لأنه «لان لهم ووصلهم، ثم توانى في أمرهم، واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر، وكتب لمروان بخمس مصر، وأعطى اقرباءه المال»(٣٩) وطبقا لرواية سيف «عن عطية عن يزيد الفقعسي» فعثمان لم يول عبدالله ابن سعد بمحض إرادته أو كما يقول القائلون: «لأنه اخوه من الرضاعة» بل كان استجابة لطلب المصريين الذين يدبرهم ابن السوداء.

أما حيلة ابن السوداء التي أمر أتباعه بعملها حتى يقنعوا الخليفة عثمان بعزل عمرو عن مصر فهي قوله: «أروه أنكم تزرعون ولاتزرعوا العام شيئا، حتى تنكسر مصر فنشكوه إلى عثمان فيعزله».

والحقيقة أنه لا أعوان ابن سبأ ولا غيرهم من جنود المسلمين كانوا يمارسون الزراعة ولاعلاقة لهم بها، وإنما كان يقوم بالزراعة أهل البلاد الأصليون من المصريين ويؤخذ منهم الخراج والجزية، ومن هذا الخراج والجزية ومن مغانم فتوح أفريقية يكون عطاء أجناد المسلمين في مصر.

نبدأ الآن مناقشة الشق الثاني من الرواية الثالثة وهو: عقيدة ابن سبأ التي كان ينشرها بين اتباعه. وتتضمن هذه العقيدة فكرتين،

الأولى: الرجعة، أي رجعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعد الموت.

والثانية: الوصية، أي أن عليا هو وصي النبي، وكما أن النبي هو خاتم الانبياء فَعَلِيٌّ خاتم الأوصياء. ووفقا لهذه العقيدة فالخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان كانوا ظالمين لِعَلِيّ لأنهم لم يجيزوا وصية نبيهم بالامامة لعلي من بعده فَعَدَوْا عليه واغتصبوه حقه.

والذي أذهب إليه أن تأليف سيف بن عمر لهذه الرواية ليس إلا من قبيل الهجوم المضاد ضد غلاة الشيعة في عصره ـ وقبل عصره ـ الذين اخذوا يسبون كبار الصحابة ويكفرونهم وبصفة خاصة أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير، وينسبون إليهم شنيع الأقوال والأفعال، وكانوا يعتقدون بأن الخلفاء الثلاثة ظلموا عليا وتآمروا عليه وغصبوه حقه في الامامة.

ومما تجدر الاشارة اليه أن هناك خلافاً حول تاريخ ظهور التشيع في الاسلام، ففئة ترى أن التشيع ظهر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء علماء الشيعة، وفئة ثانية ترى أن التشيع ظهر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة ونتيجة للاختلاف في من يخلفه في الامامة والخلافة(١).

وعلى أية حال فسيف أراد طعن الشيعة في الصميم وذلك بنسبة مذهب التشيع إلى يهودي حاقد على الاسلام يريد تقويضه من الداخل، وإن أفكار الشيعة

المعتدلين منهم والغلاة ليست سوى أفكار هذا اليهودي.

صحيح أن الشيعة كلهم يعتقدون بالامامة وبعض فرقهم تعتقد بالرجعة. لكن متى ظهرت هذه الأفكار؟ إني لا أعتقد أن مثل تلك الافكار الغريبة المعقدة (الرجعة) يمكن أن تلقى قبولا من العرب البسطاء في تلك الفترة من الزمن (٣٠ ـ ٣٥هـ)، والذي أميل اليه أن بذور تلك الأفكار قد تكون بدأت في عهد المختار وتطورت في المراحل الزمنية اللاحقة. واتفق مع الدكتور عرفان عبدالحميد في قوله: «واذا نظرنا إلى التشيع كمصطلح مرادف للقول بالنص والتعيين أمكننا أن نقول: ان ظهوره الديني والفكري كمذهب في الامامة والسياسة تأخر الى نهاية القرن الاول للهجرة»[٤١].

وقبل أن ننتقل إلى روايات سيف عن «معركة الجمل» ننقل رواية لسيف لها صلة غير مباشرة بموضوع «عقيدة ابن سبأ» وتكشف تناقض سيف.

.... سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا:

لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء، المقلل يقول: ستمائة، والمكثر يقول: ألف... ومعهم ابن السوداء... وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق... وخرج أهل البصرة في أربع رفاق... فأهل مصر يشتهون عليا، وأما أهل البصرة فكانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير. فخرجوا وهم على الخروج جميع وفي الناس شتى، لاتشك كل فرقة إلا أن الفلج معها، وأن أمرها سيتم دون الأخريين»[٤٢].

والذي يهمنا من هذه الرواية هو الجزء الأخير منها لأنه غير مقنع من ناحية، فما الذي يرغِّب أهل مصر بعلي، وأهل البصرة بطلحة، وأهل الكوفة بالزبير إذ لانعرف لأي من هؤلاء الصحابة الأجلاء أية روابط وصلات خاصة مع أي من هذه الأمصار. والصلة يمكن أن تنشأ بين أهل المصر وأحد الصحابة في الظروف التالية: إذا كان هو الذي تولى قيادة القبائل المقيمة في المصر في فتوحاتهم فيذكرون له ميزاته القيادية وحسن السيرة وغيرها، أو أنه تولى إمارة المصر لفترة من الزمن فأحبوا سيرته في إمارته، أو أنه أقام بالمصر وأخذ يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين فنشأت بينهم

رابطة من التقدير والمحبة. ولكن أيًّا من الأمور السابقة التي ذكرناها لم تتوفر لأي من الصحابة الثلاثة.

ومن ناحية أخرى، وهي بيت القصيد، فسيف يقول: أن ابن سبأ أخذ يقول لأتباعه: «من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتناول أمر الامة... إن عثمان آخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانهضوا في هذا الامر فحركوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم...»

فاذا كان ابن سبأ نجح - على حد زعم سيف - في تأليب الناس على عثمان وطرح لأتباعه فكرة «الوصية» فثاروا من أجل إعادة حق علي في الخلافة وانتزاعها من عثمان فكيف يقول سيف في الرواية التي سقناها آنفا: أن أهل مصر يشتهون عليا، وأهل البصرة يشتهون طلحة وأهل الكوفة يشتهون الزبير. أليس هذا تناقض واضح؟ ليس هذا فحسب بل إن كل أهل مصر يعرفون رغبة أهل المصر الآخر بالشخص الذي يريدونه خليفة قبل الخروج من أمصارهم وكان بينهم منافسة شديدة من أجل اختيار الخليفة الجديد.

وعلى نفس نسق الرواية الأخيرة يروى سيف (عن محمد وطلحة) روايتين مضمونها أن السبئية بدأت تأخذ موقفا معارضاً للخليفة الجديد [٤٣] «الوصي»!.

القسم الثاني : روايات سيف عن دور ابن سبأ في وقعة الجمل

يجب الاشارة هنا إلى أن روايات سيف عن وقعة الجمل تشير الى «ابن السوداء والسبأية» وليس ابن سبأ، إذ أنه بعد توقف سيف في الرواية عن يزيد الفقعسي توقف ورود اسم «ابن سبأ» الصريح.

وفي مايلي سوف نحاول إعادة بناء روايات «سيف» عن دور «ابن السوداء والسبأية» في معركة الجمل، حيث أن الطبرى يقطعها بين الفينة والأخرى بروايات مخالفة، وقد جاء النص طويلا نسبيا، ماكان لنا رغبة في نقله هنا، غير أن أي نقد لرواية سيف بدون وجود النص لايمكِّن القارىء من استيعاب النقد والموضوع بأكمله سواء اتفق معنا في ما نذهب اليه أو خالفنا فيه.

... سيف، عن محمد وطلحة بإسنادهما قالا: لما نزل علي ذا قار أرسل ابن

عباس والأشتر بعد محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر وأرسل الحسن بن علي. . . (إلى أهل الكوفة) فخف في ذلك الأمر جميع من كان نفر فيه، ولم يقدم فيه الوجوه أتباعهم فكانوا خمسة آلاف. . . وخف من لم ينفر فيها ولم يعمل لها وكان علي على طاعته ملازما للجماعة، فكانوا أربعة آلاف.

فكان رؤساء الجماعة: القعقاع بن عمرو، وسعر بن مالك، وهند بن عمرو، والهيثم بن شهاب.

وكان رؤساء النفار: زيد بن صوحان، والأشتر مالك بن الحارث، وعدي بن حاتم، والمسيب بن نجبة، ويزيد بن قيس ومعهم أتباعهم وأمثال لهم ليسوا دونهم الا أنهم لم يؤمروا منهم حجر بن عدي، وابن محدوج البكري وأشباه لهما لم يكن في الكوفة أحد على ذلك الرأي غيرهم. فبادروا في الوقعة إلا قليلا.

فلما نزلوا على ذي قار دعا (علي) القعقاع بن عمرو فأرسله إلى البصرة وقال له: إلق هذين الرجلين يابن الحنظلية. . . فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظم عليهما أمر الفرقة. . . فخرج القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة رضي الله عنها فسلم عليها وقال: أي أمه، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني، إصلاح بين الناس. قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت إليهما فجاءا فقال: إني سألت أم المؤمنين: ما أشخصها وما أقدمها هذه البلاد؟ فقالت: إصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما؟ أمتابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان، قال: فأخبراني ما وجه هذا الاصلاح؟ فو الله لئن عرفنا لنصلحن، لئن أنكرناه لانصلح. قالا: قتلة عثمان رضى الله عنه، فان هذا ان ترك كان تركا للقرآن، وان عمل به كان احياء للقرآن. فقال: قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقرب الى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة الا رجلا، فغضب لهم ستة آلاف، واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم الذي أفلت ـ يعني حرقوص بن زهير ـ فمنعه ستة الاف وهم على رجل، فان تركتموه كنتم تاركين لما تقولون، وان قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم، فالذي حذرتم وقربتم به بهذا الامر أعظم مما أراكم تكرهون، وأنتم أحميتم مضر وربيعة من هذه البلاد

فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لاهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير.

فقالت أم المؤمنين: فتقول أنت ماذا؟ قال: أقول هذا الامر داؤه التسكين، واذا سكن اختلجوا، فان أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثآر هذا الرجل، وعافية وسلامة لهذه الامة، وان أنتم أبيتم الا مكابرة هذا الامر واعتسافه كان علامة شر، وذهاب هذا الثأر، وبعثة الله في هذه الامة هزاهزها، فأثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون، ولاتعرضونا للبلاء ولاتعرضوا له فيصرعنا واياكم..

فقالوا: نعم، اذا قد أحسنت واصبت المقالة، فارجع فان قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الامر. فرجع الى علي فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القول على الصلح، كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه[44]..

ثم قام علي فحمد الله عز وجل وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم. وذكر الجاهلية وشقاءها والاسلام والسعادة، وانعام الله على الامة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم الذي يليه، ثم حدث هذا الحدث الذي جره على الامة أقوام طلبوا هذه الدنيا، حسدوا من افاءها الله عليه على الفضيلة، وأرادوا رد الاشياء على أدبارها، والله بالغ أمره ومضيب ما أراد. الا واني راحل غدا فارتحلوا، ألا لايرتحلن غدا أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس، وليغن السفهاء عني أنفسهم.

فاجتمع نفر، منهم علباء بن الهيثم، وعدي بن حاتم، وسالم بن ثعلبة العبسي، وشريح بن أوفي ابن ضبيعة، والاشتر في عدة ممن سار الى عثمان، ورضي بسير من سار وجاء معهم المصريون: ابن السوداء وخالد بن ملجم وتشاوروا فقالوا: ما الرأي؟ وهذا والله علي، وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلة عثمان وأقربهم الى العمل بذلك، وهو يقول ما يقول، ولم ينفر اليه الاهم والقليل من غيرهم، فكيف اذا شام القوم وشاموه، واذا رأوا قلتنا في كثرتهم! أنتم والله ترادون وما أنتم بأنجى من شيء.

فقال الاشتر: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم، ورأي الناس فينا والله واحد، وان يصطلحوا وعلي فعلى دمائنا، فهلموا فلنتواثب على علي فنلحقه بعثمان، فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون.

فقال عبدالله بن السوداء: بئس الرأي رأيت! أنتم ياقتلة عثمان من أهل الكوفة بذي قار ألفان وخمسمائة أو نحو من ستمائة، وهذا ابن الحنظلية وأصحابه في خمسة آلاف بالاشواق الى أن يجدوا الى قتالكم سبيلا . . .

وقال علباء بن الهيثم: انصرفوا بنا عنهم ودعوهم، فان قلوا كان أقوى لعدوهم عليهم، وان كثروا كان احرى ان يصطلحوا عليكم، دعوهم وارجعوا وتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تتقون به، وامتنعوا عن الناس.

قال ابن السوداء: بئس ما رأيت! ودّ والله الناس أنكم على جديلة، ولو تكونوا مع قوم براء، ولو كان الذي تقول لتخطفكم كل شيء.

فقال عدي بن حاتم: والله مارضيت ولاكرهت، ولقد عجبت في تردد من تردد عن قتله في خوض الحديث، فأما اذا وقع وما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة، فان لنا عتادا من خيول وسلاح محمودا، فان أقدمتم أقدمنا، وإن أمسكتم أحجمنا.
فقال ابن السوداء: أحسنت!

وقال سالم بن ثعلبه: من كان أراد بما أتى الدنيا فاني لم أرد ذلك، والله لئن لقيتم غدا لا أرجع الى بيتي، ولئن طال بقائي إذا أنا لاقيتهم لايزد على جزر فجزور. وأحلف بالله انكم لتفرقون السيوف فرق قوم لاتصير أمورهم الا الى السيف.

فقال ابن السوداء : قد قالا قولا.

وقال شريح بن أوفى: أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا ولاتؤخروا أمرا ينبغي لكم تعجيله، ولاتعجلوا أمر ينبغي لكم تأخيره، فإنا عند الناس بشر المنازل، فلا أدري ما الناس صانعون غدا إذا ماهم التقوا!

وتكلم ابن السوداء فقال: ياقوم، إن عزكم في خلطة الناس، فصانعوهم، وإذا التقى الناس غدا فأنشبوا القتال، ولاتفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لايجد بدا من أن يمتنع، ويشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون.
فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لايشعرون.

(التعبئة والقتال)

وأصبح علي على ظهر، فمضى ومضى الناس حتى إذا انتهى إلى عبد القيس نزل بهم وبمن خرج من أهل الكوفة، وهم أمام ذلك، ثم ارتحل حتى نزل على أهل الكوفة وهم أمام ذلك، والناس متلاحقون به وقد قطعهم[٤٥]. .

فخرج طلحة والزبير فنزلا باناس من الزابوقة في موضع قرية الأرزا، فنزلت مضر جميعا وهم لايشكون في الصلح، ونزلت ربيعة فوقهم جميعا وهم لايشكون في الصلح، ونزلت اليمن جميعا أسفل منهم، وهم لايشكون في الصلح، وعائشة في الحدان، والناس في الزابوقة، على رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفا. وردوا حكيما (بن سلامة) ومالكا (بن حبيب اليربوعي) إلى علي: بأنا على مافارقنا عليه القعقاع فأقدم. فخرجا حتى قدما عليه بذلك.

فارتحل حتى نزل بحيالهم فنزلت القبائل إلى قبائلهم، مضر الى مضر، وربيعة الى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لايشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج الى بعض ولايذكرون ولاينوون الا الصلح.

وخرج أمير المؤمنين في من معه، وهم عشرون ألفا، وأهل الكوفة على رؤسائهم الذين قدموا معهم ذا قار، وعبد القيس على ثلاثة رؤساء: جذيمة وبكر على ابن الجارود، والعمور على عبد الله ابن السوداء، وأهل هجر على ابن الأشج، وبكر بن وائل من أهل البصرة على ابن الحارث بن نهار، وعلى دنوز بن علي الزط والسيابجة، وقدم علي ذا قار في عشرة آلاف وانضم اليه عشرة آلاف[٤٦].

وبعث علي من العشي عبدالله بن عباس إلى طلحة والزبير، وبعثاهما من العشي محمد بن طلحة الى علي، وأن يكلم كل واحد منهما أصحابه فقالوا: نعم. فلما أمسوا ـ وذلك في جمادي الآخرة ـ أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه ـ ماخلا أولئك الذين هضوا عثمان ـ فباتوا على الصلح، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذين أشرفوا عليه، والنزوع عما اشتهى الذين اشتهوا، وركبوا ماركبوا، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط، قد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، حتى اجتمعوا على انشاب

الحرب في السر، واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر، فغدوا مع الغلس ومايشعر بهم جيرانهم، انسلوا الى ذلك الامر انسلالا وعليهم ظلمة، فخرج مضريهم الى مضريهم، وربعيهم الى ربعيهم، ويمانيهم الى يمانيهم، فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه اصحابهم الذين بهتوهم.

وخرج طلحة والزبير في وجوه الناس من مضر، فبعثا إلى الميمنة، وهم ربيعة يعبؤها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيّد، وثبتا في القلب، فقال: ماهذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلا. فقالا: قد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة، وأنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة، وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردوهم إلى عسكرهم، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت وقد وضعوا رجلا قريبا من علي ليخبره بمايريدون، فلما قال: ماهذا؟ قال ذاك الرجل: مافجئنا إلا وقوم منهم بيّتونا فرددناهم من حيث جاؤا، فوجدنا القوم على رجل فركبونا، وثار الناس، وقال علي لصاحب ميمنته: ائت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: ائت الميسرة، ولقد علمت أن طلحة والزبير منتهيين حتى يسفكا الدماء، ويستحلا الحرمة، وانهما لن يطاوعانا، والسبئية لاتفتر انشابا[٤٧]. . . .

ويمكن أن نتبين من روايات سيف (عن محمد وطلحة) التي سقناها، ثلاثة أهداف لسيف:

الاول : إخلاء رؤساء طرفي النزاع في البصرة من مسؤولية معركة الجمل ونتائجها.

الثاني : تحمي تلك المسؤولية الثوار الذين ثاروا على عثمان «السبئية».

الثالث : سيف بن عمر التميمي يجعل بطل رواياته التاريخية عن «معركة الجمل» القعقاع ابن عمرو التميمي (ابن الحنظلية) فهو نجح في إبطال الحرب بين الفريقين لولا مؤامرة «السبئية» وهو الذي يخشاه المشاركون في الثورة على عثمان. وقد أبدى في ميدان القتال شجاعة نادرة فلم يكن يدانيه الأشتر النخعي اليماني[٤٨]بطل ـ الرواة الكوفيين اليمانيين في معركة صفين[٤٩]. وكان القعقاع على علاقة ممتازة بعلي وعائشة وطلحة والزبير قبل وأثناء وبعد القتال[٥٠].

وروايات سيف وإن كانت تشتمل على بعض الوقائع التاريخية الصحيحة إلا أنها تحمل الكثير من التناقض كما أنها تشتمل على مقدار من الافتراء أيضا، حيث أن سيفا يسخر الروايات التاريخية لتخدم أهدافه التي أشرنا اليها. وسوف ننعم النظر في الروايات التي اقتبسناها آنفا لندلل على ماذكرناه. وقبل أن نبدأ بهذا الموضوع يجب أن أؤكد بوضوح لالبس فيه أنه عندما نبرز التناقض في أقوال أحد المشاركين في الخلاف من الصحابة فلايعني هذا تناقضهم أو تكذيبهم، إذ مانعتقده أنهم لم يقولوه أبدا وإنما قاله سيف (عن محمد وطلحة) ولذا فالتناقض تناقض سيف لاغيره.

١ . قسم سيف في بداية رواياته عن «معركة الجمل» أهل الكوفة إلى قسمين: النفّار، والجماعة. وقد بين أن النفّار «جميع من نفر فيه» وعددهم خمسة آلاف. وربما أنه كان يقصد بأولئك الثائرين على الخليفة عثمان، والمحرضين على الثورة من الناقمين عليه وعلى ولاته بالكوفة.

أما رؤساء الجماعة الذين ذكرهم فهم، باستثناء القعاع بن عمرو، غير معروفين، بخلاف رؤساء النفار إذ كلهم من رؤساء القبائل وأعيانها، وكان لهم دور بارز في الفتوح والأحداث الاسلامية.

ويبدو تناقض سيف واضحا عند ذكر الأعداد، فهو مرة يجعل «النفار» خمسة آلاف، وأخرى يقول «قتلة عثمان من أهل الكوفة بذي قار ألفان وخمسائة أو ستمائة. وقد ذكر قبل ذلك في رواية أخرى ان عدد الثائرين على عثمان من أهل الكوفة ستمائة[٥١].

أما عدد «الجماعة» - كما يذكر - فهم أربعة آلاف مرة، وخمسة آلاف أخرى. «وهذا ابن الحنظلية في خمسة آلاف...»

٢ . أوفد علي القعقاع إلى عائشة وطلحة والزبير فسألهم ماذا يريدون؟ فكان جوابهم: الاصلاح. فقال لهم: ماوجه هذا الاصلاح؟ فقالوا: قتل قتلة عثمان. وقد روى سيف (عن محمد وطلحة) في مكان آخر: أنهم قتلوا حكيم بن جبلة العبدي وأصحابه وجميع قتلة عثمان من أهل البصرة عدا حرقوص بن زهير السعدي الذي منعته قبيلته بنو تميم[٥٢]. فإذا كان

فعلا تم لهم ذلك فلماذا يقيمون في البصرة؟ لماذا لم يعودوا إلى مكة أو المدينة، أو يذهبوا إلى الكوفة لقتل قتلة عثمان فيها؟

٣ . وبعد نجاح مسعى القعقاع ـ حسب رواية سيف ـ حيث وافق طلحة والزبير على ترك الطلب بدم عثمان والمبايعة لعلي إذا كان رأيه مثل رأي القعقاع، خطب علي خطبة تناول فيها الثائرين على عثمان وذكر فيها سوء نياتهم وأعمالهم وقال: «ألا اني راحل غدا، ألا لايرتحلن غدا أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس».
ولم يذكر سيف ولاغيره : أن الذين أعانوا على عثمان انفصلوا عن علي، فهل عصوا عليا، ورفضوا أمره، وأصروا على البقاء في جيشه رغما عنه؟ أم أن الخطبة كلها لم تحصل أبداً ومثلها وساطة القعقاع أيضا؟

٤ . ويبرر سيف افشال وساطة القعقاع وعدم اتفاق الفريقين على الصلح، إلى مؤامرة عبدالله بن السوداء وعصابة معه، حيث نجحوا بإنشاب القتال بين الفريقين ليلا حتى لايتم صلح بينهم وبالتالي يقادون من عثمان.

وهل يمكن أن نصدق رواية سيف هذه بحيث تجعل «ابن السوداء» اليهودي العقل المدبر لهؤلاء الجماعة معظمهم من أصحاب السابقة في الجهاد بل منهم من يذكر ان له صحبة[٥٣]، كما أن بعضهم كانوا رؤساء مطاعين في قبائلهم، بل إن شخصا مثل الأشتر يمكن أن يعتبر الرجل الثاني في جيش علي. ونحن لانحاول أن ندافع عنهم أو نبرؤهم من الاشتراك في الفتنة، بل مانرفضه أن يكون يهودي يخطط لهم وهم ينفذون، ومانقوله: إنهم مسؤلون عن أفعالهم من خير وشر.

ألم يخبرنا سيف في أخبار الردة بأن عديا هو الذي ثنا قومه طي (الغوث وجديلة) عن الردة وصرفهم عن الانضمام إلى طليحة وجعلهم ينضمون إلى جيوش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد لقتال المرتدين. وقال عنه سيف في هذا الخبر: «فكان خير مولود ولد في أرض طي وأعظمه عليهم بركة»[٥٤]. ألم يقل عمر بن الخطاب لعدي وهو يقارنه بغيره من رجال القبائل وهو يفرض لهم الصدقة: «آمنتَ إذ

كفروا، وعرفتَ إذ أنكروا، ووفيتَ إذ غدروا، وأقبلتَ إذ أدبروا، إن أول صدقة بيضت وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة طيء»[٥٥].

٥ . ومن تناقضات سيف في رواياته حول موقف «عدي بن حاتم» من الفريقين في البصرة أنه مرة يقول: لما أرسل علي إلى أهل الكوفة يستنجدهم اختلف الناس بين المسير إليه وبين اعتزال الفريقين والبقاء في الكوفة «وأتى قوم من طي عديا فقالوا له: ماذا ترى وماذا تأمر؟ فقال: ننتظر مايصنع الناس. فأخبر بقيام الحسن وكلام من تكلم فقال: قد بايعنا هذا الرجل... ونحن سائرون وناظرون»[٥٦].

فعدي عند «سيف» مرة متردد في بيعة علي والمسير اليه وأخرى من رؤساء النُّفَّار، وثالثة متآمر يأتمر بأمر ابن السوداء ويفسد الصلح بين المسلمين وينشب القتال بينهم.

وفي اعتقادي أن قصة «مؤامرة ابن السوداء والجماعة الذين ذكرهم سيف» مختلقة من أساسها وقصد سيف أن يقول: أن عليا من جانب وطلحة والزبير من جانب آخر كانوا على وئام تام وأوشك الصلح أن يتم بينهما لولا تلك الزمرة من الأشرار التي أفسدت الصلح وأنشبت الحرب وأخذت تذكيها حتى قتل فيها عشرون ألفا من أهل البصرة والكوفة وبالتالي فهم يتحملون نتائج هذه الحرب.

والذين ذكرهم سيف قد يكونون من المتحمسين للحرب لأسباب مختلفة، لكن من غير المعقول أن تسيرهم شخصية وهمية «ابن السوداء» أو أن يصدقوا المعتقدات السخيفة المنسوبة اليه.

ولو كان الصلح والاصلاح بني الجانبين بالسهولة التي رواها سيف لكان بإمكانهما التوصل إليه في المدينة أو في مكة بدون اللجوء إلى شق الأمة إلى جيشين متحاربين.

٦ . ويقول سيف بعد ذلك: أن طلحة والزبير خرجا بالناس ونزلا في الزابوقة وقد عبأ الناس كتائب، وكل قبيلة منهم لاتشك في الصلح، وأعادا رسولا علي عليه، وأخبراه بأنهما لازالا على اتفاقهما مع القعقاع وقالا له:

أقدم. فارتحل، فنزل بحياهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم، مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن.

ونحن نتساءل هنا : إذا كانا اتفقا على الصلح فلماذا يعبآن الجيشين ويصفونهما ازاء بعضهما؟ أليس من الأحرى لو كان هناك اتفاق على الصلح أو على الأقل اتفاق على التفاوض عليه أن يتركا الجيشين بعيدين عن بعضهما وبدون تعبئة، لأن التعبئة استعداد للحرب، وأن يتقابلا بعيدا عن جيوشهما ويمكن أن يحضرهما رؤساء الناس ليشهدوا الاتفاق أو ليكونوا أطرافا فيه.

٧ . وخرج أمير المؤمنين فيمن معه وهم عشرون ألفا، وأهل الكوفة على رؤسائهم الذين قدموا معهم ذا قار. وعبد القيس على ثلاثة رؤساء: جذيمة وبكر على ابن الجارود، والعمور على عبد الله بن السوداء، وأهل هجر على ابن الاشج.

فهل من المعقول أن يترأس عبد الله بن السوداء اليهودي اليماني الذي دخل في الاسلام ـ حسب رواية سيف ـ قبل ثلاث سنوات فقط قبيلة العمور من عبد القيس؟ ألم يجدوا رجلا من عبد القيس كلها أو من ربيعة أو من غيرها من أهل الشرف والاسلام ليرؤسوه عليهم؟

أليس من العجب أن رئيس قبيلة بكر بن وائل ـ أخوة قبيلة عبد القيس ـ بالكوفة وعلة بن محدوج الذهلي لام رئيس قبيلة بكر بن وائل في البصرة شقيق بن ثور الذهلي على إعطائه راية القبيلة لمولاهم «رشراشة» وقال له وعلة: ضاعت الأحساب، دفعت مكرمة قومك الى رشراشة! فأرسل إليه شقيق: أن أغن شأنك فإنا نغني شأننا[٥٧]. وقول ابن محدوج يعكس حساسية القبيلة من رئاسة الدخلاء على أن المولى لايعتبر دخيلا، والعرب تقول: «مولى القوم منهم». وقبيلة بكر بن وائل هم أخوة قبيلة عبد القيس فكلهم من ربيعة. ولايعقل أن يرئسوا عليهم مضريا أو يمانيا فكيف يرئسوا عليهم يهوديا يمانيا!؟.

٨ . وبعد مانجحت السبأية ـ طبقا لرواية سيف ـ في إنشاب القتال، قال طلحة والزبير: «قد علمنا أن علياً غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة وأنه لن يطاوعنا.

وقال علي : قد علمت أن طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمة، وأنهما لن يطاوعانا».

والانتحال واضح في هذه الرواية، فهل من المعقول أنهم لم يكونوا يفكرون بطريقة واحدة فحسب بل إن عباراتهم كانت واحدة أيضا؟ فمن سمع طلحة والزبير؟ ومن سمع عليا؟ أليس الأقرب إلى الصواب أن مثل هذه الأقوال قد صاغها مؤلف متأخر، قبع في مكان هادىء ليكتبها، وقد يكون بينه وبين الأحداث قرن أو أكثر!

وآخر خبر في روايات سيف عن ابن سبأ (= ابن السوداء) والسبأية هو قوله: «وأعجلت السبأية عليا عن المقام (في البصرة) وارتحلوا بغير إذنه، فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمرا إن كانوا أرادوه، وقد كان له فيها مقام»[٥٨].

ويحفظ الطبري رواية أخرى تلقى الضوء على المقصود «بالسبئية» في رواية سيف السابقة. أما الرواية فهي بإسناد زياد بن أيوب . . . عن عاصم الجرمي، عن أبيه قال: . . .

وأتاه (أي الاشتر) الخبر باستعمال علي ابن عباس (على البصرة) وقال: علام قتلنا الشيخ! إذ اليمن لعبيد الله، والحجاز لقثم، والبصرة لعبدالله، والكوفة لعلي، ثم دعا بدابته فركب راجعا. وبلغ ذلك عليا فنادى: الرحيل، ثم أجدَّ السير فلحق به، فلم يره أنه بلغه عنه، وقال: ماهذا السير؟ سبقتنا؟ وخشي إن ترك وخرج أن يوقع في أنفس الناس شرا»[٥٩].

وبعد تلك الحادثة أسدل الستار فجأة ونهائيا على عبدالله بن سبأ (= عبدالله ابن السوداء) في أحداث التاريخ الاسلامي.

فهل من المعقول أن يكون لابن سبأ ذلك الدور الخطير الذي بدأ بالتحريض على خليفة المسلمين ثم قتله في المدينة، ثم في انقسام المسلمين إلى معسكرين متحاربين في البصرة وقتل منهم في ميدان القتال مايزيد على عشرين ألف قتيل ثم يختفي هو وأعوانه بتلك الصورة فلايرد لهم أي ذكر لافي الكوفة ولا في «معركة صفين» بعد ذلك؟

ولدينا تفسير لهذا الاختفاء الفجائي والنهائي لابن سبأ. ذلك أن الطبري اعتمد بصفة رئيسية في أخباره عن أحداث «الفتنة» ومعركة الجمل على روايات سيف بن عمر في كتابه «كتاب الجمل وسير عائشة وعلي»[٦٠]، وبعد انتهاء أخبار «معركة الجمل» توقف الطبري نهائيا من الرواية عن «سيف» ومن ثم توقف نهائيا ذكر «ابن سبأ» اذ لاوجود له في الروايات التاريخية غير روايات سف.

أما هؤلاء الذين يصنفهم «سيف» بأنهم أعوان ابن سبأ وصنائعه مثل الأشتر النخعي وعدي بن حاتم الطائي فقد كانوا من رؤساء أصحاب علي ورؤساء قبائلهم في الكوفة وفي صفين. وقد بعث علي الأشتر واليا على مصر فمات في الطريق[٦١]، أما عدي بن حاتم فظل من أشراف الكوفة ورؤسائها حتى وفاته سنة ٦٨هـ.[٦٢] ما شريح بن أوفى بن ضبيعة العبسي فقد اشترك مع علي في حرب صفين، ثم خرج عليه بعد صفين مع الخوارج وقتل في النهروان[٦٣].

موقف سيف بن عمر من الأحداث

وبعد أن فرغنا من تحليل روايات سيف بن عمر عن «دور ابن سبأ» في أحداث «الفتنة» و«معركة الجمل» يجمل بنا أن نجلو موقفه من «الأحداث» - التي روى أخبارها - استنتاجا من رواياته ومن مقارنته بغيره.

إن سمعة سيف كمحدث عند أصحاب كتب الجرح والتعديل سيئة للغاية فتراوحت أحكامهم عليه بالضعف، واتهامه بوضع الأحاديث على الثقات الأثبات، واتهامه بالزندقة[٦٤].

والحقيقة أن سيفا لم تطلق عليه وحده هذه الأحكام من بين الاخباريين، إذ اطلقت أحكام مشابهة على ابن اسحاق، والواقدي، وابن مخنف، وهشام بن محمد الكلبي وغيرهم.

ولايمكن أن نعتمد أحكام أصحاب كتب الجرح والتعديل على الاخباريين في قبول رواياتهم أو رفضها، لأنهم أنفسهم بالرغم من إطلاقهم تلك الأحكام ينقلون أخبارهم في كتبهم كما فعل الذهبي مع سيف بن عمر[٦٥]، وابن حجر مع الواقدي[٦٦] وسيف بن عمر[٦٧].

ويمكن أن نلخص موقف «سيف» في رواياته عن أحداث «الفتنة» و«معركة الجمل» بالنقاط التالية:

١ . الدفاع عن الخليفة عثمان وأم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير وولاة عثمان وتبرر مواقفهم حتى لو بلغ به الأمر إلى اختلاف الروايات أو تحريفها.

٢ . على الرغم من أنه ينهج في رواياته إلى اخلاء الطرفين في البصرة (علي وطلحة والزبير) من مسؤولية الصدام المسلح في البصرة إلا انه بطريق غير مباشر ينال من الخليفة علي.

٣ . تجريح كل من انتقد الخليفة عثمان، أو طعن في ولاته في الأمصار، أو انضم إلى جانب الخليفة علي في البصرة، سواء كان هؤلاء من الصحابة أو من غيرهم.

٤ . التصدي للروايات الشيعية التي تنال من عثمان وعائشة وطلحة والزبير بروايات مناقضة أو مضادة.

٥ . التأكيد على دور القعقاع بن عمرو التميمي في تثبيط أهل الكوفة عن الاشتراك في الفتنة أولا، ثم في مساعيه الاصلاحية في البصرة ثانيا، ثم في شجاعته المتميزة في ميدان القتال أخيرا.

ومن باب الإنصاف نقول: أن هناك رواة آخرون يتحاملون على الخليفة عثمان وأم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ويختلقون عليهم الأخبار أو يحرفونها لتناسب معتقداتهم وأهواءهم، وقد تنسب مثل هذه الأخبار أحيانا ـ زورا ـ إلى رواة ثقات حتى يقبلها الناس.

فالتعاطف أو التعصب لهذا الجانب أو ذاك جعل الاخباريين في القرنين الأول والثاني الهجريين بصفة خاصة يلونون رواياتهم التاريخية ـ عن الفتنة وماتلاها ـ وفقا لاهوائهم ومعتقداتهم مما جعل استخلاص الأخبار الصحيحة من غيرها أمرا ليس باليسير.

على أن مانحن بصدده هنا هو سيف بن عمر وليس غيره وسوف نورد فيما يلي ثلاثة نماذج تعكس موقف «سيف» في رواياته من أحداث «الفتنة» و«معركة الجمل».

١ ـ قصة الحوأب :

روى حديث نباح كلاب الحوأب أم المؤمنين عائشة وهي في طريقها من مكة إلى البصرة في أسانيد ومصادر مختلفة وفيها زيادة ونقصان ذات أهمية. فالطبري نقل الحديث في روايتين، واحدة «. . . . عن صفوان بن قبيصة عن العرني صاحب الجمل. . . »[٦٨] والأخرى منسوبة «للزهري»[٦٩] ورواه البلاذري[٧٠] وابن أبي الحديد[٧١] رواية«أبي مخنف باسناده»، ورواه الامام أحمد بن حنبل في «مسنده»[٧٢]، والذهبي في «سير أعلام النبلاء»[٧٣]، والهيثمي في «مجمع الزوائد»[٧٤] مسندا لقيس بن أبي حازم، ونقله ابن كثير مسندا لابن عباس مرة ولقيس ابن أبي حازم أخرى[٧٥].

وسوف ننقل هنا إحدى روايتي الامام أحمد بن حنبل للحديث وهي :

«حدثنا عبدالله، حدثني أبي، ثنا يحيى، عن اسماعيل، ثنا قيس قال:

لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلا نبحت الكلاب، قالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب، قالت: ما أظني إلا راجعة. فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله عز وجل ذات بينهم»[٧٦].

وقد شك الأستاذ سعيد الافغاني في صحته فقال: «في النفس من صحة هذا الحديث شيء ولأمر ما أهمله أصحاب الصحاح». ويضيف «لو كان هذا الخبر صحيحا لرجعت عائشة من فورها فليست بالتي تلقى بنفسها في التهلكة على بصيرة. . . وأن سند الذهبي في هذا الحديث ينتهي ـ في احدى روايتيه ـ الى ابن عباس، وابن عباس ـ على عدالته ـ ممن خب وأوضع في الحزبية السياسية. . . فلعل هذا جعله ـ إن صحت نسبة الحديث إليه ـ يتسامح ويغض عما فيه لتأييد مذهبه السياسي. . . »[٧٧].

أما محب الدين الخطيب فقد بين أن عدالة بعض رواة الحديث ليست مما يعتمد عليه في الرواية والبعض الآخر مجهول[٧٨].

وأضيف هنا أن الدوافع لاختلاق هذا الحديث موجودة، إذ أن الرواة ذوي الميول الشيعية يريدون إدانة عائشة لمخالفتها الرسول صلى الله عليه وسلم وأنها مذنبة بمسيرها إلى البصرة واشتراكها في الحرب فيها. وفي نفس الوقت اتهام الزبير

أو ابنه عبدالله ـ كما يروي أبو مخنف ـ بإحضار خمسين رجلا ليشهدوا شهادة زور بأن الماء ليس الحوأب[٧٩].

ولدى تساؤل على الجزء الأخير من الحديث وهو: «فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله عز وجل ذات بينهم» فهذا المقطع يقوي الظن على أن الحديث موضوع. حيث أنه لما كان طلحة والزبير وعائشة على «ماء الحوأب» وهو في القسم الأول من طريق مكة ـ البصرة وعلي في ذلك الوقت كان في المدينة وعلى هذا فالفريقان لم يكونا بالبصرة حتى تقدم عليهم لتصلح ذات بينهم.

أما قيس بن أبي حازم ـ الأحمس الكوفي ـ راوي إحدى الروايتين ـ فقد قال عنه الذهبي: «. . . ومنهم من حمل عليه وقال له أحاديث مناكير. والذين أطروه حملوا عنه هذه الأحاديث على أنها عندهم غير مناكير وقالوا: غرائب. . .

وروى علي بن المديني أن يحيى بن سعيد قال له: قيس بن أبي حازم منكر الحديث. قال: ثم ذكر له يحيى أحاديث مناكير منها حديث «كلاب الحوأب»[٨٠].

وقد يتساءل القارىء عن العلاقة بين موقف سيف في رواياته من أحداث «الفتنة» و«معركة الجمل» و«حديث الحوأب»، إذ لم يرد له أي ذكر فيه؟ الحقيقة أن سيفا لم يتعرض لذكر «حديث الحوأب» في رواياته عن «معركة الجمل»، ومع ذلك فسيف كان على علم به. وقد ذكره سيف لكن ليس في أخبار «معركة الجمل» بل في أخبار «الردة». حيث يروى أن «أم زمل» سلمى بنت حذيفة بن بدر ارتدت بعد إسلامها وقصة ارتدادها أنها: «كانت قد سُبيت أيام أم قرفة فوقعت لعائشة فأعتقتها فتكون عندها، ثم رجعت إلى قومها. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم. . . دخل عليهن يوما فقال: إن احداكن تستنبح كلاب الحوأب. ففعلت سلمى ذلك حين ارتدت وطلبت بذلك الثأر فيما بين ظفر والحوأب»[٨١].

والحقيقة أن سيفا يخالف جميع المؤرخين الذين رووا أخبار السرية التي أرسلها الرسول إلى بني فزارة ـ مثل ابن هشام[٨٢] والواقدي[٨٣]، وابن سعد[٨٤] والطبري[٨٥]، وابن كثير[٨٦] والحلبي[٨٧] وهؤلاء يتفقون على أن ابنة أم قرفة سبيت في تلك السرية ويختلفون على مصيرها فمنهم من قال: أن الرسول صلى الله عليه وسلم وهبها لخاله حزن ابن أبي وهب بمكة، ومنهم من قال: أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث بها

الى مكة ففدى بها أسرى كانوا في أيدي المشركين، ولم يذكر أحد منهم انها كانت لعائشة أو أنها ارتدت.

ومع أني أرجح أن «حديث الحوأب» حديث موضوع، فإني أعتقد أيضا أن سيفا لفق قصة «أم زمل» حتى تكون هي المقصودة بالحديث وليس عائشة إنسجاما مع موقفه الذي أشرنا إليه آنفا.

٢ . جيش علي

لدينا روايتان لسيف (عن محمد وطلحة) عن عدد جيش علي الذي خرج به من المدينة. الأولى: أن الخليفة عليا خرج من المدينة وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل وهو يرجو أن يدرك طلحة والزبير فيحول بينهم وبين الخروج(٨٨).

والثانية: «. . . وقدم علي ذا قار في عشرة آلاف وانضم إليه عشرة آلاف(٨٩). وليس هناك من تفسير لذلك التفاوت الكبير في عدد جيش علي إلا أن الرواية الأولى تحدد عدد وصفة الذين خرجوا مع الخليفة، والثانية تحدد عدد جيشه بعد أن انضم اليه الكثير من أفراد القبائل في الطريق وخصوصا قبيلتي طي وأسد. وقد أشارت معظم المصادر الى انضمام جموع من هاتين القبيلتين الى جيشه.

ومايهمنا في الحقيقة هنا هو الرواية الاولى اذ أن سيفا أراد أن يقول بطريق غير مباشر: أن الخليفة عليا لم ينضم إليه أحد من المهاجرين والأنصار وإنما فقط «سبعمائة من الكوفيين والبصريين». ومن يكون هؤلاء الكوفيون والبصريون في المدينة؟ لابد أنه يريد أن يقول بطريق غير مباشر أيضا: أن أنصار الخليفة علي هم «قتلة عثمان»، مع العلم أنه ذكر في مكان آخر أن «قتلة عثمان» من أهل البصرة قتلوا مع حكيم بن جبلة العبدي قبل أن يقدم علي وجيشه البصرة(٩٠).

فسيف يهدف ضمنيا إلى النيل من الخليفة علي وفي نفس الوقت يريد أن يعارض تلك الروايات التي تبالغ في عدد المشاركين في جيش علي من أهل بدر خاصة والصحابة من المهاجرين والأنصار عامة(٩١).

٣ . زيد بن صوحان العبدي[٩٣]

سبق أن ذكرنا أن خطة سيف في رواياته لأحداث «الفتنة» و«معركة الجمل»: تجريح كل من انتقد الخليفة عثمان، أو طعن في ولاته في الأمصار، أو انضم إلى جانب الخليفة علي في البصرة. وسوف نعرض فيما يلي الصورة التي تصور بها المصادر «زيد بن صوحان العبدي» وهو ممن انتقد الخليفة عثمان، وطعن على واليه في الكوفة وانضم إلى جانب علي بالبصرة ثم نقارنها بصورته عند سيف بن عمر.

كان زيد من المجاهدين الاوائل وقطعت يده أثناء جهاده المشركين في موقعه نهاوند، وكان مع سلمان الفارسي في المدائن، ووكل إليه سلمان أن يقوم باقراء الناس لأنه أفصح منه، وأن يؤمهم في الصلاة ويخطبهم يوم الجمعة. ووفد زيد على عمر بن الخطاب، وجعل عمر يرحل لزيد ويقول لرفاقه من أهل الكوفة: «يا أهل الكوفة، هكذا فاصنعوا بِزَيْد وإلا عذبتكم»[٩٥].

وقام زيد يوما إلى عثمان فقال: «يا أمير المؤمنين مِلْتَ فمالت أمتك، إعتدل تعتدل أمتك، ثلاث مرات. قال: أسامع مطيع أنت؟ قال: نعم ـ قال: إلحق بالشام»[٩٤].

ولما عاتب معاوية المسيرين من أهل الكوفة إلى الشام، وقال لهم: «مالكم لاتكلمون؟ فقال زيد: ومانصنع بالكلام، لئن كنا ظالمين فنحن نتوب إلى الله، وإن كنا مظلومين فإنا نسأل الله العافية. فقال معاوية: يا أبا عائشة أنت رجل صدق، وأذن له في اللحاق بالكوفة»[٩٥].

وبعثت عائشة من البصرة كتابين لأهل الكوفة واحداً لزيد بن صوحان والآخر لعامة أهل الكوفة، وقد طلبت من زيد تخذيل الناس عن الانضمام إلى علي، لكن زيدا لم يستجب لطلبها، وكان يقول: رحم الله أم المؤمنين، أمرت أن تلزم بيتها، وأمرنا أن نقاتل، فتركت ما أمرت به وأمرتنا به، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه[٩٦].

وارتثّ زيد يوم الجمل فقال له أصحابه: أبشر أبا سلمان في الجنة. فقال: تقولون قادرين أو النار فلا تدرون، إنا غزونا القوم في بلادهم، وقتلنا أميرهم، فليتنا إذ ظلمنا صبرنا[٩٧].

هذا هو زيد بن صوحان في المصادر التاريخية لكن سيف بن عمر يصور شخصية زيد بشكل آخر، حيث يروى أن زيدا قام في مسجد الكوفة فقرأ كتابي عائشة ثم قال بعد ذلك: «أمرت بأمر وأمرنا بأمر، أمرت أن تقر في بيتها، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة، فأمرتنا بما أمرت به وركبت ما أمرنا به» فقام إليه شبث بن ربعي فقال: يا عماني، . . . سرقت بجلولاء فقطعك الله، وعصيت أم المؤمنين فقتلك الله! ما أمرت إلا بما أمر الله عز وجل به بالاصلاح بين الناس(٩٨).

وسيف يعلم أن يد زيد لم تقطع في حد السرقة بل قطعت في الجهاد في سبيل الله، وسيف من أعلم الناس بأخبار الفتوح ولكنه ـ على ما يبدو ـ أقلهم أمانة في الرواية.

ويروى في قصة «يد زيد» أنه كان يتحدث مرة فقال له أعرابي: إن حديثك ليعجبني وإن يدك لتريبني. فقال: أو ما تراها الشمال؟ فقال: والله ما أدرى اليمين تقطعون أم الشمال، فقال زيد: صدق الله «الأعرابُ أشدُّ كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدودَ ما أَنْزَلَ الله على رسولِهِ(٩٩).

وما أميل إليه أن سيفا لفق القول على لسان شبث بن ربعي من أجل تجريح زيد بن صوحان للأسباب التي ذكرناها. أما شبث فلم يذكر أحد من المؤرخين أنه اشترك في البصرة مع أي من الجانبين، وقد حارب مع علي في صفين ثم خرج عليه مع الخوارج بعد صفين ثم عدل عن مذهب الخوارج(١٠٠).

ونضيف هنا إلى ما سبق أن ذكرناه بخصوص موقف سيف في رواياته من الرجال الذين انضموا في الجانب الذي هو ضده سواء في أحداث الأمصار، أو في الفتنة في المدينة، أو الذين انضموا إلى صفوف الخوارج بعد صفين فقد قام سيف بطمس أسمائهم وأدوارهم في أخبار الفتوحات ـ باستثناء حالات نادرة ـ وظهرت أخبارهم في الأحداث فجأة، حيث لم يرد ذكر قبل ذلك في تاريخ الطبري ـ نظرا لاعتماده بشكل رئيسي على سيف في أخبار الفتوحات.

ثانيا: ابن سبأ والسبأية في المصادر المتقدمة الاخرى

لا أعلم فيما اطلعت عليه من المصادر المتقدمة أي ذكر لعبدالله بن سبأ عند غير سيف بن عمر سوى رواية واحدة عند البلاذري، وهذه الرواية يكتنفها الكثير من الغموض ولا يستبعد أبدا أن مخطوطة كتاب البلاذري قد تعرضت لتحريف من قبل أحد النساخ نتيجة التباس أو جهل. ونص رواية البلاذري:

«. . . وأما حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وحبة ابن جوين البجلي ثم العرني، وعبدالله بن وهب الهمداني ـ وهو ابن سبأ ـ فإنهم أتوا عليا عليه السلام فسألوه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فقال: أو قد تفرغتم لهذا؟ وهذه مصر قد فتحت، وشيعتي بها قد قتلت! وكتب كتابا يقرأ على شيعته في كل أيام، فلم ينتفع علي بهذا الكتاب. وكان عند ابن سبأ نسخة منه فحرفها»[101].

ومما يلاحظ على هذا النص أن أحدا من الذين ذكروا «ابن سبأ» لم يذكر أن اسمه عبدالله بن وهب الهمداني. وقد نقل مؤلف «كتاب الامامة والسياسة» نفس الخبر لكن عبدالله بن وهب الهمداني عند البلاذري هو عبدالله بن وهب الراسبي عند مؤلف «كتاب الامامة والسياسة»[102]. ولم يشر إطلاقا إلى ابن سبأ كما أنه نقل نص الكتاب المنسوب لعلي. أما عبدالله بن وهب الراسبي فكان من أصحاب علي ثم خرج عليه في النهروان وقتل فيها، ويمكن قبول نص «كتاب الامامة والسياسة» اذا اللقاء تم بين علي وهؤلاء القوم بعد معركة صفين وقبل خروج الخوارج في النهروان على أثر فشل التحكيم في دومة الجندل.

أما «السبأية» فقد وردت مرارا في المصادر المتقدمة عند غير سيف بن عمر، ويبدو أنه كان يقصد بها السب والتعيير وتطلق على الشيعة بصفة خاصة والمعارضين للحكم الأموي في العراق بصفة عامة.

وقد نقل الطبري في تفسيره رأيا لقتادة بن دعامة السدوسي البصري (ت١١٧ هـ)[103] في النص التالي: «. . . أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: (فأمَّا الذّينَ في قلوبهم زيغ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابه مِنْهُ ابتغاءَ الفتنة)[104] وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية: (فأمَّا الَّذِّينَ في قلوبِهِم زَيْغ) قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبأية فلا أدري مَنْهُم»[105].

أما ابو مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت١٥٧هـ) فقد روى أن المستورد بن علفة الخارجي قد وصف معقل بن قيس الرياحي التميمي أحد أصحاب علي كلفه المغيرة بن شعبه والي معاوية على الكوفة بقتال المستورد وأصحابه من الخوارج بأنه «من السبأية المفترين الكاذبين»[١٠٦].

وذكر أبو مخنف في رواية ثانية وصف أشراف أهل الكوفة لخصومهم من أصحاب المختار بالسبأية[١٠٧]. وقد هجا أعشى همدان (قتله الحجاج سنة ٨٣هـ)، بعد ما هرب مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة، المختار وأنصاره من أهل الكوفة فقال:

شهــدتُ عليـكمْ أنـكمْ سبــأيّـةٌ　　وأنّى بكمْ يا شرطةَ الكفرِ عـارفُ

وعدد في شعره قبائل منها شبام ونهد وخارف[١٠٨].

ولعله من سخرية القدر أنه ما لبث أن هجا الفرزدق (ت١١٦هـ) أشراف أهل العراق وكل من انضم إلى ثورة عبد الرحمن بن الأشعث في معركة دير الجماجم (سنة ٨٣هـ) وكان فيهم أعشى همدان ووصفهم بالسبأية، ويقول في ذلك:

كـأنَّ عـلى ديـرِ الجمـاجمِ منهُمُ　　حصـائدَ أو أعجـازَ نخـلٍ تَقَعَّـرا
تَـعَـرَّفُ همـدانيـةٌ سـبئيـةٌ　　وتُكـرِهُ عينيهـا عـلى مـا تَنَكَّـرا
رأتـهُ مـع القتـلَى وغَـيَّرَ بعلَهـا　　عليهـا تـرابٌ في دمٍ قـد تَعَفَّـرا
أزاحـوه من رأسٍ وعينين كـانتـا　　بعيـدين طـرفـاً بـالخيـانةِ أَغْـدَرا
من النـاكثـين العهـد من سبئية　　وإمـا زبيـريٍ من الـذئب أَغْـدَرَا
ولـو أنهم إذْ نـافقـوا كـان منهُمُ　　يهـوديّهم كانـوا بذلـك أَعْذَرا[١٠٩].

وقد ورد ذكر «السبأية» عند البلاذري في «أنساب الاشراف» أربع مرات واحدة منه في شعر والثلاث الأخرى في خطب. والغريب أن ذكر «السبأية» في الشعر كان وصفا للخوارج وليس الشيعة. وقصة الشعر: أن الخوارج أخذوا يستعرضون الناس في البصرة بالسلاح وأتوا مسجد بني قطيعة فأخذوا بأبوابه حتى هرب الناس وَثْباً على الجدر، وكان بكير بن وائل الطاحي أحد المصلين في المسجد وقد اتقى ضربات سيوف الخوارج بطيلسان كان يرتديه فأصابته جراحات مرض بسببها وقال في ذلك:

عشيةَ لولا الطيلسانُ لَقُطِّعَتْ طوابقُ مِنّي أو يميني لَشُلَّتِ
عشية قالوا: إنّما القومُ شرطةٌ وتلك حروريو البلادِ استقلّتِ
وهل هي إلا عصبةٌ سبأيةٌ دعاها مُضِلٌّ للهوى وأضلَّتِ[110]

أما الخطب فكانت أولاها لزياد بن أبيه في أهل الكوفة حيث قال: «أيها الناس إن هذه السبأية الخائنة ـ يعني الشيعة ـ المتحيرة، قد ركبت أعجاز أمور هلك من ركب صدورها . . .»[111].

ويلاحظ أن البلاذري فسر كلمة السبأية مما يدل على أن مفهومها كان غير شائع ويحتاج إلى تفسير. أما المقصودون بهذه الخطبة فهم حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعبدالله بن خليفة الطائي وغيرهم من أصحاب حجر ممن كانوا يشكلون المعارضة العلنية لحكم معاوية وولاته في الكوفة[112]، أو بعبارة زياد: كان همهم «تلقيح الفتن والتوثب على الأمراء»[113] ولم ينسب أحد إلى هؤلاء مواقف سياسية أو عقائدية أخرى.

أما الخطبتان الأخريان فواحدة لأبي العباس السفاح[114] والأخرى لأبي جعفر المنصور[115] وكانا يقصدان با«لسبأية» في خطبتيهما الشيعة وأهل الكوفة.

ونلاحظ مما عرضناه آنفا أن كلمة «السبأية» في تلك المصادر أطلقت تارة على المعارضين للحكم الأموي في الكوفة وأخرى على الخوارج وثالثة على رجال القبائل الذين انضموا إلى معسكر المختار في الكوفة ضد القيادات القبلية التقليدية ورابعة على أهل العراق بصفة عامة وخامسة على أهل الكوفة. وبناء على هذا فلا يمكن الاستنتاج من النصوص السابقة أن «السبأية» تعني فئة لها هوية سياسية معينة أو مذهب عقائدي محدد، ولكن المؤكد أنها عندما تطلق على قوم يقصد بها الذم والتعيير.

إذاً من أين جاءت كلمة «السبأية» وماذا تعني؟ إن أيسر الأجوبة على هذا السؤال هو أن نفهمها على أنها منسوبة إلى «عبدالله بن سبأ» الذي ذكره سيف بن عمر ومؤلفو كتب الفرق وبعض كتب الأدب. وهذا فيه تدعيم للدارسين الذين بنوا دراساتهم عن «ابن سبأ والسبأية» على رواية سيف بن عمر ومؤلفو كتب الفرق وبعض كتب الأدب.

ولكن في الحقيقة لا يمكن الأخذ بهذا التفسير بحيث أنه لا يمكن وصف أي جماعة ممن أطلقت عليهم «السبأية» في المصادر التي استخدمناها آنفا بأن لهم صلة بابن سبأ المزعوم أو معتقداته. وحتى الشيعة الذين أطلقت عليهم «السبأية» في النصوص السابقة أكثر من غيرهم فهم في ذلك الوقت المبكر يمثلون في رأيي جبهة المعارضة للحكم ـ حسب المفاهيم السياسية الحديثة ـ أكثر من تمثيلهم مفهوم الشيعة والمبني على الاعتقاد بأن الامامة أصل من أصول الدين، ناهيك بأن يكونوا من الغلاة الذي قالوا بألوهية علي.

ولو كانت السبأية في هذه المصادر منسوبة إلى «عبدالله بن سبأ» لذكرته المصادر وذكرت أخباره ومذهبه، إذ لا يعقل أن يكون «ابن سبأ» بتلك الأهمية والخطورة التي صوره بها سيف وأصحاب كتب الفرق، ويسكت عنه المؤرخون المتقدمون وغيرهم من العلماء.

وبما أننا رفضنا الأخذ بأن «السبأية» منسوبة إلى عبدالله بن سبأ فيفترض أننا نقدم تفسرا بديلا، ولكن ـ وللأسف ـ لا نملك في الوقت الحاضر تفسيرا مقنعا.

ومما يجدر ذكره أن الدكتور جواد علي لفت الانتباه إلى أن بعض كتب الفرق تسمي «السبأية» «السبابية»، ويرى أن هذه التسمية لم تأت عن اشتباه أو عن خطأ بل جاءت من سبهم الخلفاء. ويضيف قائلا: والظاهر أن القدماء كانوا يطلقون على تلك الجماعة «السبابية» وعلى الواحد منهم «السبابي» تمييزا لهم عن الفرق الأخرى(١١٦).

وصحيح أن بعض كتب الفرق ذكرت «السبابية»(١١٧)، وأن ولاة الأمويين كانوا يسبون الامام عليا وشيعته، وأن الشيعة كانوا يسبون بني أمية وربما الخليفة عثمان، وعائشة وطلحة والزبير، الا أن أبا الحسن الأشعري يجلو هذا الغموض في تعديده لفرق الرافضة حيث يقول «الفرقة الثانية منهم، السبابية: أصحاب عبد الرحمن بن سبابة . . .»(١١٨).

ثالثا: ابن سبأ في كتب الفرق وكتب الأدب

تحفظ كتب الفرق وكتب الأدب بعض المعلومات عن «عبدالله بن سبأ» وهو في هذه الكتب يظهر فجأة في الكوفة قبيل قتل علي ثم يختفي وتنقطع أخباره بعد قتل علي أيضا. ولم يستخدم أحد من مؤلفي هذه الكتب ـ على كثرتهم ـ رواية سيف بن عمر التي يظهر فيها «ابن سبأ» في عهد الخليفة عثمان سنة ٣٠ هـ ويختفي بعد معركة الجمل بالبصرة سنة ٣٦ هـ باستثناء القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني (ت ٤١٥ هـ) في كتابه «تثبيت دلائل النبوة»[١١٩].

وقد أعطت بعض هذه الكتب معلومات عن اسمه وأصله ومعتقده ونهاية بعض أصحابه[١٢٠]. بينما ذكر البعض الآخر قصة إحراق بعض أصحابه دون أن يسميهم باسمهم «السبأية»[١٢١]. وطائفة ثالثة منها لم تذكر عنه إلا الخبر الذي يتضمن عدم تصديقه بأن الخليفة علي قتل فعلا بل رفع إلى السماء[١٢٢].

ومما يلفت الانتباه هو كثرة الخلاف بين المؤلفين حول اسمه وأصله وبعض تفاصيل اعتقاده. وتجدر الاشارة أن من أقدم من ذكره ابن حبيب (ت ٢٤٥هـ) في «كتاب المحبر»[١٢٣]، والجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في كتابه «البيان والتبيين»[١٢٤]، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في كتابه «المعارف»[١٢٥]. أما مؤلفو كتب الفرق فهم من رجال القرنين الرابع والخامس وما بعدهما.

وسوف نعرض فيما يلي مقارنتين الأولى لروايات حفظها ابن أبي الحديد عن «ابن سبأ» في «شرح نهج البلاغة»، والثانية رواية عن «ابن سبأ» منسوبة للشعبي نقلها ثلاثة من المؤلفين.

الروايات التي حفظها ابن أبي الحديد عن «ابن سبأ»:

أ ـ وأول من جهر في الغلو في أيامه عبدالله بن سبأ فقام إليه وهو يخطب (أي علي) فقال له: أنت، أنت! وجعل يكررها. فقال له: ويلك! من أنا؟ فقال: أنت الله فأمر بأخذه وأخذ قوم معه كانوا على رأيه[١٢٦].

ب ـ قال أبو العباس: وقد كان عثر على قوم خرجوا من محبته باستحواذ

الشيطان إلى أن كفروا بربهم وجحدوا ما جاء به نبيهم، واتخذوه ربا وإلها، وقالوا: أنت خالقنا ورازقنا، فاستتابهم وتوعدهم فأقاموا على قولهم فحفر لهم حفرا ودخن عليهم فيها طمعا في رجوعهم فأبوا فحرقهم في النار(١٢٧).

جـ - وروى أبو العباس عن محمد بن سليمان بن حبيب المصيصي، عن علي بن محمد النوفلي، عن أبيه ومشيخته:

أن علياً مرّ بهم وهم يأكلون في شهر رمضان نهارا فقال: أسفر أم مرض؟ فقالوا: ولا واحدة منهما. قال: أفمن أهل الكتاب أنتم؟ قالوا: لا. قال: فما بال الأكل في شهر رمضان نهارا؟ قالوا: أنت، أنت! لم يزيدوه على ذلك، ففهم مرادهم، فنزل عن فرسه فألصق خده في التراب، ثم قال: ويلكم، إنما أنا عبد من عبيد الله، فاتقوا الله، وارجعوا إلى الاسلام، فأبوا، فدعاهم مرارا، فأقاموا على أمرهم. فنهض عنهم ثم قال: شدوهم وثاقا وعليّ بالفعلة والنار والحطب ثم أمر بحفر بئرين فحفرتا، فجعل أحداهما سربا والأخرى مكشوفة، وفتح بينهما فتحا وألقى النار في الحطب فدخن عليهم، ويجعل يهتف بهم ويناشدهم ارجعوا إلى الإسلام فأبوا، فأمر بالحطب والنار وألقى عليهم فاحترقوا. . . فلم يبرح واقفا عليها حتى صاروا حمما.

قال أبو العباس: ثم إن جماعة من أصحاب علي، منهم عبدالله بن عباس، شفعوا في عبدالله بن سبأ خاصة وقالوا: ياأمير المؤمنين إنه قد تاب، فاعف عنه، فأطلقه بعد أن اشترط عليه ألا يقيم بالكوفة. فقال: أين أذهب؟ قال: المدائن، فنفاه إلى المدائن. فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام أظهر مقالته، وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه ويتبعونه. وقال لّما بلغه قتل علي: والله لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة لعلمنا أنه لم يمت ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه(١٢٨).

ومن مقارنة الروايات السابقة نلاحظ أن الرواية (ب) تنسجم مع الرواية (جـ) لكن الرواية (أ) **تناقضها**. .

ففي الرواية (أ) يقوم عبدالله بن سبأ وعلي يخطب في المسجد ويقول له علنا وعلى رؤوس الملأ: أنت الاله فيأمر علي بأخذه وأخذ أصحابه. بينما في الروايتين (ب،جـ) كانت الحادثة مجرد صدفة حيث عثر عليهم علي في طريقه وهم يأكلون

ويشربون في نهار رمضان وأنكر عليهم فعلهم. وقالوا له: أنت خالقنا ورازقنا، فطلب منهم ترك مقالتهم والرجوع إلى الاسلام، فأبوا عليه وعاندوه وأصروا في عنادهم فأحرقهم علي باستثناء ابن سبأ.

وهذه الروايات لا يمكن أن يقبلها المنطق السليم إذ لا نعرف أحدا من العرب عبد انسانا واعتقد أنه هو الخالق الرازق لا في الجاهلية ولا في الاسلام، بل لا نعرف أن احدا من المسلمين ارتد عن دين الله ارتداداً صريحاً بعد الردة التي حدثت بعد وفاة الرسول مباشرة.

والسؤال المهم: كيف يعتقدون أن عليا إلههم وخالقهم ورازقهم وفي نفس الوقت لا يطيعون له أمرا، بل يصرون على عصيانه ـ حسب الرواية ـ حتى اضطر إلى إحراقهم.

وإذا كان ابن سبأ نفسه قد ادعى التوبة ونجا من الاحراق فلماذا لم يَدَّعِ أصحابه التوبة مثله فهو إمامهم وقدوتهم؟

وبعد هذا وذاك، لماذا يعاقبهم علي بالاحراق في النار، وهي عقوبة غير مألوفة لا في عهد الرسول ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين قبله؟ ألا يمكن أن يضربهم بالسياط ليستتيبهم فإن لم يتوبوا قتلهم بالسيف؟

ولماذا يشفع ابن عباس وبعض أصحاب علي لابن سبأ وحده خصوصا أنه كان أساس هذه الفتنة؟ يضاف إلى ذلك أن ابن عباس كان عامل علي على البصرة وكان يقيم فيها ولم يكن في الكوفة، والظاهر أن هذه النقطة فاتت على مؤلف هذه القصة.

المقارنة الثانية: رواية الشعبي وقد حفظها كل من الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في «البيان والتبيين»، والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) في «تاريخ بغداد»، وعبدالقاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) في «الفرق بين الفرق».

أ ـ نص الجاحظ:

حباب بن موسى، عن مجالد، عن الشعبي، عن زحر بن قيس قال:

قدمت المدائن بعد ما ضرب علي بن أبي طالب رحمه الله فلقيني ابن السوداء وهو ابن حرب فقال لي: ما الخبر؟ قلت: ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من

أيسر منها، ويعيش من أشد منها. قال: لو جئتمونا بدماغه في مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه(١٢٩).

ب ـ نص الخطيب البغدادي:

أخبرني عبدالوهاب الصغير، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن المغلس، حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، حدثنا عبدالله ـ يعني ابن سعيد عمه ـ عن زياد ـ وهو البكائي، قال: حدثنا المجالد بن سعيد، حدثني الشعبي، أخبرني زحر بن قيس الجعفي قال:

بعثني علي على أربعمائة من أهل العراق وأمرنا أن ننزل المدائن رابطة، قال: فوالله إنا لجلوس عند غروب الشمس على الطريق، إذ جاء رجل قد أعرق دابته، قال، فقلنا: من أين أقبلت؟ فقال: من الكوفة. فقلنا: متى خرجت؟ قال: اليوم. قلنا: فما الخبر؟ قال: خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة، صلاة الفجر، فابتدره ابن بجده وابن ملجم، فضربه أحدهما ضربة إن الرجل ليعيش مما هو أشد منها، ويموت مما هو أهون منها. قال: ثم ذهب. فقال عبدالله بن وهب السبائي ـ ورفع يده إلى السماء ـ الله أكبر، الله أكبر. قال قلت له: ما شأنك؟ قال: لو أخبرنا هذا أنه نظر إلى دماغه قد خرج، عرفت أن أمير المؤمنين لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه. قال: فوالله ما مكثنا إلا تلك الليلة حتى جاءنا كتاب الحسن بن علي:

«من عبدالله حسن أمير المؤمنين إلى زحر بن قيس، أما بعد فخذ البيعة على من قبلك». قال، فقلنا: أين ما قلت؟ قال: ما كنت أراه يموت(١٣٠).

جـ ـ نص عبدالقاهر البغدادي:

وقد روى عن عامر بن شراحيل الشعبي: أن ابن سبأ قيل له: أن علياً قتل. فقال: إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها.

وقد ذكر الشعبي: أن عبدالله بن السوداء كان يعين السبأية على قولها، وكان ابن السوداء في الأصل يهوديا من أهل الحيرة فأظهر الاسلام، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورئاسة فذكر لهم أنه وجد في التوراة: أن لكل نبي وصيا، وأن

علياً رضي الله عنه وصي محمد ﷺ، وأنه خير الأوصياء، كما أن محمدا خير الأنبياء. فلما سمع ذلك شيعة علي قالوا لعلي: إنه من محبيك فرفع علي قدره، وأجلسه تحت درج منبره. ثم بلغه غلوه فيه فهم بقتله. فنهاه ابن عباس عن ذلك وقال: إن قتلته اختلف عليك أصحابك، وأنت عازم على العود إلى قتال أهل الشام، وتحتاج إلى مداراة أصحابك. فلما خشي من قتله وقتل ابن سبأ الفتنة التي خافها ابن عباس، نفاهما إلى المدائن، فافتتن بهما الرعاع بعد قتل علي رضي الله عنه وقال لهم ابن السوداء: والله لينبعنّ لعلي في مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلا والأخرى سمنا، ويغترف منهما شيعته[١٣١].

ومن مقارنة النصوص الثلاثة لرواية الشعبي نخلص إلى الآتي:

١ - مضمون النصوص الثلاثة واحد وهو أن ابن سبأ أنكر أن علياً يموت مثل البشر الآخرين، لكنها متناقضة تقريبا في كل شيء.

٢ - في نص الجاحظ: يقول زحر بن قيس قدمت المدائن بعد ما ضرب علي، ونص الخطيب المغدادي: بعثني علي على أربعمائة من أهل العراق وأمرنا أن ننزل المدائن رابطة .. فوالله إنا لجلوس عند غروب الشمس إذ جاءنا رجل أعرق دابته، فقلنا: من أين أقبلت؟ قال: من الكوفة ....

٣ - نص الجاحظ: فلقيني ابن السوداء وهو ابن حرب قال لي: ما الخبر؟ قلت: ضرب أمير المؤمنين ضربة... قال ابن السوداء: لو جئتمونا بدماغه في مائة صرة لعلمنا أنه لايموت حتى يذودكم بعصاه.

نص الخطيب البغدادي: قلنا: ما الخبر؟ قال: خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة... فضربه... فقال عبدالله بن وهب السبائي: لو أخبر هذا أنه نظر إلى دماغه قد خرج عرفت أن أمير المؤمنين لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه.

٤ - أما عبدالقاهر البغدادي فعنده «ابن سبأ» و«ابن السوداء» شخصان لا شخص واحد:

أ - قال ابن سبأ: إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته، ولا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها.

ب ـ وقال ابن السوداء بعد قتل علي: والله لينبعن لعلي في مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلا والأخرى سمنا فيغترف منهما شيعته.

٥ ـ ونص عبدالقاهر البغدادي يجعل ابن السوداء أول من طرح فكرة «الوصي» عند أهل الكوفة فقبلوها منه، كما يتضمن النص أمرين هامين، الأول: أن معظم أصحاب الخليفة علي كانوا على رأي ابن السوداء. والثاني: الطعن في علي وابن عباس إذ هما يداهنان في حدود الله، فلا يقيم عليّ الحد على «ابن سبأ» و«ابن السوداء» خشية تفرق أصحابه عليه ـ وقد بينّا سابقا أن ابن عباس كان والي علي على البصرة ولم يكن يقيم في الكوفة.

إنه من غير المعقول أن يداهن علي في حدود الله مع رجل غامض لا أصل له ولا نسب وقد عرفت شدته مع أصحابه في الأمور الصغيرة فكيف بالحدود، وقد خسر ولاء معظمهم نتيجة لهذه الشدة وهربوا إلى الشام وانضموا إلى معاوية، منهم مصقلة بن هبيرة الشيباني[١٣٢] من سادات قبيلة ربيعة وأهلْ العراق وغيره.

وإذا كان الخليفة أبو بكر رفض أن يقبل من قبائل العرب إسلامهم على ألا يؤدوا إليه الصدقة فقال: «لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه»[١٣٣] ـ فهل يعقل أن يداهن علي في تطبيق الحد على رجل ارتد عن الاسلام ارتدادا صريحا لا شبهة فيه. ولو كان علي مداهنا أحدا في أمر لداهن في أمر الخوارج أصحاب النهروان إذ هم كانوا جنوده وأصحابه وإخوان أصحابه وأبناءهم وأبناء عمومتهم لكنه قاتلهم وقتل معظمهم في المعركة. ألم يكن من أصحابه وفي صفه عدي بن حاتم الطائي بينما كان ابنه طرفة بن عدي في معسكر الخوارج وقتل معهم فأخذه أبوه فدفنه[١٣٤] فكيف نصدق بعد هذا أن علياً ترك إقامة الحد على «ابن سبأ» و«ابن السوداء» خشية الفتنة!

وثمة نقطة أخيرة في «نص الخطيب البغدادي» يجب أن نجلوها وهي أن عامل علي على المدائن كان سعد بن مسعود الثقفي ـ عم المختار ـ منذ سنة ٣٦ هـ أي قبل مسير علي إلى صفين وحتى بعد وفاته وقيام ابنه الحسن بالأمر بعده[١٣٥]. ولو أن الحسن بعث برسالة لأخذ البيعة له على من كان في المدائن لأرسلها إلى عامل أبيه عليها سعد بن مسعود الثقفي وليس غيره.

لعله تبين من المقارنات السابقة لنصوص الرواية الثلاثة أنه بالرغم من أن الرواية تنسب لشخص واحد هو الشعبي إلا أنها لا تتفق في شيء سوى عدم تصديق ابن سبأ بأن علياً لا يموت.

ويجدر بنا بعد أن حللنا نصوص الرواية المختلفة أن نلتفت إلى مصدر الشعبي وهو زحربن قيس الجعفي لنلقي عليه بعض الضوء.

إن مواقف زحر من أهل بيت علي وشيعته تجعله لا يتورع من اختلاق مثل هذه القصة. فزحر من قتلة الحسين بن علي وهو الذي أرسله عبيدالله بن زياد برأس الحسين إلى يزيد بن معاوية بدمشق، وخطب أمام يزيد خطبة يفتخر فيها بقتل الحسين وأصحابه، وكان يطمع في نوال يزيد وجائزته[١٣٦].وهو من الذين شهدوا زورا على حجر بن عدي الكندي وأصحابه بأنهم خلعوا طاعة معاوية ودعوا إلى الفتنة والكفر فقتل معاوية حجرا وبعض أصحابه[١٣٧]. وكان من الزعماء الذين قاتلوا المختار في الكوفة لأن المختار كان يتعقب قتلة الحسين فيقتلهم. ويبدو أنه كان من المخلصين للحجاج بن يوسف والى العراق، وموقف الحجاج معروف من علي وآل بيته، فأجلسه الحجاج يوما على سريره وكانت به جراحة إثر مناوشة له مع الخوارج فيقول الحجاج لمن حوله: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي وهو شهيد فلينظر إلى هذا[١٣٩].

وبالرغم من كل ما ذكرناه عن زحر بن قيس فنحن نميل إلى أن القصة وضعت في مرحلة متأخرة نسبيا وأسندت إلى الشعبي (ت ١٠٤هـ) والشعبي من الثقات الأثبات. والحقيقة المرة أن كثيرا من وضاع الأحاديث وملفقي الأخبار يعمدون إلى إسنادها إلى الثقات الأثبات حتى يقبلها الناس وتسير فيهم. وعندي أن الشعبي لو سمع هذه القصة من زحر لأدرك بثاقب فطنته أنها مختلقة ولما تحمل إثم روايتها أو على الأقل بين شكه في صحتها إذا كان فعلا قد رواها.

ومثلما ظهر «ابن سبأ» أو «ابن السوداء» فجأة في الكوفة اختفى فجأة في المدائن. فبعد مقولته بعد قتل علي: بأنه لا يصدق بأن علياً يموت انقطع ذكره نهائيا في كتب الفرق والأدب.

يقول الدكتور عرفان عبدالحميد في دراسته للفرق والعقائد الاسلامية: «انه لا يصح الاعتماد على كتب الأدب والتاريخ في تصوير العقائد التي يجب أن تصور من خلال كتب الفرق والمقالات بعد دراسة وتدقيق وموازنة ومقارنة.»[١٤٠] ونحن نرى بالمقابل أنه لا يصح أبدا الاعتماد على كتب الفرق والمقالات في دراسة القضايا التاريخية إذ أن معظمها - إن لم تكن كلها - كتبت بروح التحامل والتعصب وتعوزها الأمانة والتدقيق في صحة ما تنقل بالاضافة إلى الكثير مما فيها من المبالغات والتناقضات. ولو أن امرءا تتبع ما نقلته هذه الكتب عن أصحاب المختار والذين سموا باسماء مختلفة: المختارية، الكيسانية، الخشبية، لرأى مصداق ما ذهبنا إليه.

وقبل أن نختتم الحديث عن «ابن سبأ والسبأية» في كتب الفرق وكتب الأدب سوف نورد ثلاثة أمثلة تجسد ما قلناه آنفا.

١- قال ابن حزم في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل»: «افترق القائلون بتناسخ الأرواح على فرقتين: فذهبت الفرقة الواحدة إلى أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخر. . . وهو قول القرامطة وغالية الرافضة الذين رفضوا الاسلام جملة لا أبابكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ومنهم النضرية والمحمدية، وانقسمت النضرية على فرق تزيد على خمس عشرة وأولها السبابية، وكل هذه الفرق تقول بإلهية علي[١٤١].

فإذا كانت «السبابية» هي السبأية، وهي حسب قول ابن حزم متفرعة عن فرقة رئيسية هي «النضرية»، وإذا كانت السبأية وجدت في عهد علي ففي أي عهد وجدت الفرقة الأم «النضرية»؟

أما المقدسي فيعطي في كتابه «البدء والتاريخ» اسما جديدا للسبأية حيث يقول: «والسبأية فإنه يقال لهم: الطيارة، يزعمون أنهم لا يموتون، وأن موتهم طيران أنفسهم في الغلس، وأن علياً لم يمت وأنه في السحاب . .»[١٤٢].

أما الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل» فيروى أن الامام أبا حنيفة النعمان (ت ١٥٠هـ) صاحب المذهب المشهور كان من الشيعة البترية[١٤٣]، وأن المنصور حبسه لتشيعه ومات في الحبس[١٤٤]. وبناء على قول الشهرستاني فلا بد أن يكون إذا كل أتباع المذهب الحنفي من السنة شيعة أيضا!

رابعاً: ابن سبأ عند الدارسين المعاصرين:

من الطبيعي أن تختلف آراء الدارسين المعاصرين من عرب ومستشرقين حول شخصية ابن سبأ ودوره اختلافا كبيرا بين مشكك في وجوده أو مشكك في بعض الأدوار المنسوبة إليه[١٤٥]، وبين مثبت له مؤكدا أنه لعب دوره بإحكام دقيق. ويعود ذلك التباين إلى أن بعض الدارسين تردد في قبول رواية سيف بن عمر عن «ابن سبأ» بناء على رأي أصحاب كتب الجرح والتعديل واتهام سيف بالكذب والضعف. وبعض الدارسين قبل بعض روايات سيف وتردد في قبول البعض الآخر. أما الفريق الثالث، وهم الكثرة، فقد قبلوا روايات سيف وبنوا دراساتهم عليها وعلى نقولات أصحاب كتب الفرق.

وبما أن المستشرقين قد سبقوا الباحثين العرب إلى دراسة «ابن سبأ» فلا يستبعد أن بعض الباحثين العرب قد تأثروا بهم أو على الأقل أثاروا لديهم الاهتمام بدراسة الموضوع، لذا فقد يكون من المستحسن أن نستعرض آراءهم أولا.

فرييد لاندر Friedlander

من أوائل الذين كتبوا عن «ابن سبأ» المستشرق الألماني فرييدلاندر[١٤٦]، وخلاصة رأيه: أن دور ابن سبأ الرئيسي لم يكن في ادعاء ألوهية علي بل في إنكار موته. وكان يقول: أن عليا سوف يرجع من السحاب. ويبدو أنه كان متأثرا بأفكار يهود اليمن والمتصلة بأفكار يهود الفلاشا في الحبشة حول المسيح المنتظر[١٤٧].

فان فلوتن (ت ١٩٠٣هـ) V. C. Vloten

أما المستشرق الهولندي فان فلوتن فهو يقبل رواية سيف بن عمر الواردة في تاريخ الطبري وكذلك النصوص التي نقلها مؤلفو الفرق ويبني دراسته عليها في كتابه[١٤٨].

فلهـــوزن (ت ١٩١٨م)

أما فلهوزن فهو يقبل ما تذكره كتب الفرق حيث يقول: «ومنشأ السبأية يرجع إلى زمان علي والحسن، وكما يتضح من اسمه القريب فإنه كان أيضا يمانيا، والواقع

أنه من العاصمة صنعاء، ويقال أيضا: أنه كان يهوديا. وهذا يقول بأصل يهودي لفرقة السبأية... بيد أنه يلوح أن مذهب الشيعة الذي ينسب إلى عبدالله بن سبأ أنه مؤسسه يرجع إلى اليهود أقرب من أن يرجع إلى الايرانيين.»[١٤٩]

ويقول في موضع آخر: «فلما ارتبطت الشيعة بالعناصر المضطهدة تخلت عن تربة القومية الغربية وكانت حلقة الارتباط هي الاسلام، ولكنه لم يكن ذلك الاسلام القديم بل نوعا جديدا من الدين... اتخذ نقطة ابتدائه من بدعة غريبة غامضة اختلط بها المختار وهي السبأية... والسبأية يسمون أيضا «الكيسانية» وكان كيسان زعيما للموالي، فإن كان زعيما للسبأية فيستنتج أن السبأية والموالي كانوا شيئا واحدا تقريبا... واعتمادا على هذا الاستنتاج مضى البعض فزعم أن التشيع مذهب ديني إيراني الأصل لأن غالبية موالي الكوفة كانوا ايرانيين[١٥٠].

كايتاني (ت ١٩٢٦م) L. Caetani

أما المستشرق الايطالي كايتاني فيرى أن ابن سبأ لم يكن في الأصل إلا مؤيدا سياسيا لعلي، لكن خيال الأجيال اللاحقة نسجت حوله تصورا بأنه كان يحيك مؤامرة دينية شبيهة بتلك التي دبرها العباسيون[١٥١].

وقد هاجم كايتاني رواية سيف بن عمر الواردة في الطبري قائلا: أن زيفها يتبين من أدلة عديدة، أولها المصادر الأقدم الموثوق بها عن خلافة عثمان، تجهل عبدالله بن سبأ كما تجهل الاضطراب القائم على أساس ديني. ثم إن مثل هذا الاضطراب الديني المنسوب إلى ابن سبأ كان من المستحيل حدوثه في تلك اللحظة التاريخية بين العرب الفاتحين. ومثل هذه الآراء التي يظهر فيها آثار نزعات هجينة مسيحية وإشارات إلى النزعة المهدية اليهودية، وبداية تسلسل للأفكار الايرانية المتعلقة بالتناسخ ما كان يمكن أن تحدث أي تأثير في عهد خلافة عثمان[١٥٢].

ليفي دلا فيدا (ت بعد ١٩٥٦م) L. G. Dlla Vida

ويقول المستشرق الايطالي ليفي دلا فيدا، أن ابن سبأ كان اما مؤسسا أو بطلا لفرقة أو أكثر تسمى «السبأية» وكانت تمجد مكانة عَلي الدينية[١٥٣].

لويس ماسينيون (ت ١٩٦٢م) L. Massignon

ويعتبر المستشرق الفرنسي ماسينيون السبأية في عصر المختار ليست إلا فرقة من فرق العينية[١٥٤].

وخلاصة الآراء التي سقناها تدور حول ثلاث نقاط:

١- ينكر بعض المستشرقين دور ابن سبأ السياسي بينما يقر دوره الديني.
٢- بينما يثبت البعض الآخر الدور السياسي وينفي الدور الديني.
٣- وفريق ثالث يقر بالدورين معا.

أما الباحثون العرب فلا يقلون اختلافا حول «ابن سبأ» عن المستشرقين. وكان من أوائل الباحثين في موضوع «ابن سبأ» الدكتور جواد علي، إذ نشر عنه أول مرة مقالات مسلسلة في «مجلة الرسالة» المصرية عام ١٩٤٨م ويبدو أنه طرأت على آرائه بعض التعديلات فنشر بحثا عن «ابن سبأ» في «مجلة المجمع العلمي العراقي» عام ١٩٥٨م. وقد ناقش الدكتور جواد علي رواية سيف بن عمر عن «ابن سبأ» الواردة في تاريخ الطبري، وكذلك رواية الشعبي التي حفظتها بعض المصادر. ولم يكن الدكتور مطمئنا إلى تلك الروايات أو إلى أجزاء منها حيث يقول في أحد مقالاته: «فهل كان عبدالله بن سبأ أحد هؤلاء الذين حافظوا على ديانتهم إلى أيام الخليفة عثمان بن عفان حتى إذا أسلم تملكته حمى التنقل من مكان إلى مكان ومن قطر إلى قطر داعيا الناس إلى دعوات غريبة طمعا في إثارة الفتنة وخلق الفوضى في صفوف المسلمين، فزار الحجاز وذهب إلى البصرة فالكوفة فالشام فمصر، واتصل بهذه الأقطار عن طريق المراسلة حتى تمكن من تأجيج نار فتنة لم تخمد حتى اليوم.

والعجيب أن رجلا كهذا لم يسجل الرواة حوادثه ولا أخباره ثم ينصاع له شيوخ من شيوخ المسلمين ولا يتقدم أحد لقتله أو سجنه على هذه المقالات التي كان يظهرها وهو في صورة مسلم يدين بالاسلام[١٥٥]».

ويتوقف الدكتور جواد علي بين قبول الروايتين ورفضهما حيث يقول: «ونحن لا نستطيع رفض رواية الطبري كما لا نستطيع قبولها. ولا نستطيع أيضا تصديق رواية الشعبي ولا تكذيبها»[١٥٦].

ويقول في رواية «سيف بن عمر عن يزيد الفقعسي» في قصة نزول «ابن سبأ» على حكيم بن جبلة في البصرة: «ولست أزعم لك أن نزول عبدالله بن سبأ في دار هذا اللص المشاغب كان حقا، ولست أزعم لك أيضا أن ذلك كان باطلا، ولكن لا أبيح لك سرا إن قلت: أني غير مطمئن إلى هذا الحديث الذي يرويه يزيد الفقعسي ولا أكثر أحاديث هذه الرواية»[١٥٧].

ثم يترك عدم اطمئنانه من الرواية إلى الجزم بأن «قصة ابن سبأ مع أبي ذر» قصة موضوعه.[١٥٨]

ثم هو يحتار في تفسير «السبأية» فيقول: «ولا ندري لم دعاهم الطبري «سبأية» ألأنهم أتباع «عبدالله بن سبأ»؟... أم لأن جمهرتهم كانت من أهل اليمن، وقد كانت العادة أن يقال لهم: «سبأيين» أو «حميريين»... ولا علاقة لهذه السبأية بسبأية عبدالله ابن سبأ، وأن هذه السبأية هي التي دعت الأخباريين... إلى خلق اسطورة عبدالله بن سبأ... فاختلقوا شخصا يهوديا مسلما أبوه من سبأ وأمه سوداء من الأحباش».[١٥٩]

والدكتور جواد علي الذي قال آنفا: «ونحن لا نستطيع رفض رواية الطبري كما لا نستطيع قبولها...» يقول الآن: «وأن هذه السبأية هي التي دعت الاخباريين... إلى خلق اسطورة ابن سبأ» وإذا كان يرى أن ابن سبأ أسطورة فليس هنالك رفض لرواية سيف بن عمر أكثر من هذا.

ولقد فات عليه أن الطبري لم يسمهم «سبأية» بل الذي سماهم كذلك سيف ابن عمر وهو في هذا ينسجم مع رواياته حول ابن سبأ ودوره في الفتنة.

ويرى الدكتور جواد علي أن هناك قوى أجنبية حرضت العناصر التي تسمى «السبأية» على الفتنة ويقول: «كانوا يسعون منذ عهد الرسول إلى خلق الفتن وتفريق العرب إلى شيع وأقسام، وأنها حاولت الكيد لمن كان يعرف فيه الحزم والعزم وأن مقتل الخليفة عمر لم يكن بتلك الصورة البسيطة الساذجة التي رسمها الإخباريون بل كانت خطة منظمة مدبرة يعرف بها جماعة، وأن نفرا كان لهم اتصال وثيق بذلك الرجل الذي صنع تلك الآله للفتك بالخليفة...»[١٦٠]

وبعد عشر سنوات من كتابته لهذا المقال عاد الدكتور جواد علي عن رأيه هذا باتهام القوى الأجنبية في خلق الفتنة وتفريق العرب منذ عهد الرسول ليفسر تلك الحركة في «مجلة المجمع العلمي العراقي» تفسيرا ماركسيا، إذ أن المسألة لم تكن إلا صراعا طبقيا فحسب تعود جذوره إلى عهد الجاهلية.

«والسبأية - كما رأينا في روايات السرى - حركة اجتماعية ذات اتجاه إشتراكي متطرف تدعو إلى الثورة على الأغنياء وعلى الأثرياء الجدد وعلى السادة الجدد الذين امتلكوا أراضٍ واسعة في المناطق الخصبة من العراق، وقد تحاملت على عثمان لأنه تساهل - على زعمها - مع أقربائه بني أمية فتركهم يعبثون في بيت المال...»[١٦١]

وفي موضع آخر يقول الدكتور جواد علي: «وهكذا نرى السبأية والموالي والأعراب جبهة متحدة ضد أصحاب الأرض والمثرين من قريش، لا يرون الرجوع إلى عملهم إلا بشروط والا بإصلاح حالهم وإنصافهم وإعطائهم حقهم في العمل والانتاج. أما سادتهم من قريش فهم يأبون عليهم ذلك ويرون في قولهم تحديا وفتنة وتطاولا عليهم وخروجا على القانون والنظام، وعمت المدينة المقر الذي قتل فيه الخليفة حالة من الفزع والاضطراب...

وقد عزا من خرج من المدينة مهاجرا أو فارا من هذا الوضع سوء الحال إلى «الغوغاء من أهل الامصار ونزاع القبائل» وإلى مظاهرة العبيد لهم. وكل هؤلاء هم الطبقة المتذمرة الفقيرة المعدمة التي يرجع تذمرها إلى عهد بعيد قبل الاسلام وهم الأكثرية الغالبة، لهذا غلبوا على المدينة وتحكموا فيها في هذا العهد»[١٦٢].

أما الدكتور طه حسين فيقول:

«ويخيل إلي أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ إلى هذا الحد يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ إسرافا شديدا. وأول ما نلاحظه أنا لا نجد لابن سبأ ذكرا في المصادر المهمة التي قصت أمر الخلاف على عثمان...

ولست أدري أكان لابن سبأ خطر أيام عثمان أم لم يكن، ولكني أقطع أن خطره، إن كان له خطر، ليس ذا شأن. وما كان المسلمون في عصر عثمان ليعبث بعقولهم وآرائهم وسلطانهم طاريء من أهل الكتاب أسلم أيام عثمان، ولم يكد يسلم حتى انتدب لنشر الفتنة وإذاعة الكيد في جميع الأقطار..

وأكبر الظن أن عبدالله بن سبأ هذا ـ إن كان كل ما يروى عنه صحيحا ـ إنما قال ما قال ودعا ما دعا إليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف، فهو قد استغل الفتنة يثرها . . .»(١٦٣)

أما الأستاذ أحمد أمين فهو لا يشك في خطورة الدور الذي لعبه ابن سبأ ويقبل رواية سيف بن عمر، ويقول في تحليله لاسباب الفتنة: «ولما ولي عثمان تبرم علي وأنصاره وزادهم تبرما أن عثمان ـ وهو أموي ـ استعان بالأمويين، فكان أكثر عماله منهم . . . فحرك ذلك ما كان كامنا من العداوة القديمة الجاهلية بين بني هاشم وبني أمية، وانتشرت الجمعيات السرية في آخر عهد عثمان تدعو إلى خلعه وتولية غيره ومن هذه الجمعيات من كانت تدعو إلى علي ومن أشهر الدعاة له عبدالله بن سبأ، وكان من يهود اليمن . . . وكان من أكبر الذين ألبوا على عثمان حتى قتل»(١٦٤).

ونحن لا نعرف أحدا من المؤرخين أشار إلى تلك «الجمعيات السرية» اللهم إلا أن الاستاذ أمين قصد بها «أعوان ابن سبأ في الأمصار» حسب رواية سيف بن عمر، مع أن نص الاستاذ أمين لا يوحي بذلك.

أما الاستاذ سعيد الافغاني فقد أكبر من شأن «ابن سبأ» أيما إكبار، وأعلن إعجابه بذكائه ومواهبه المتعددة، وتصويره له فهو يجعله «سوبرمان» Superman ويعتقد أن ما قام به ابن سبأ هو مؤامرة دولية دبرتها دولة الروم وأداة تنفيذ هذه المؤامرة «ابن سبأ» وتهدف هذه المؤامرة إلى هدم الاسلام حيث يقول:

«عبدالله بن سبأ يهودي من صنعاء أمه سوداء . . . تظاهر بالاسلام على عهد عثمان، ثم اندفع متنقلا في البلدان الاسلامية . . . باذرا للضلالات والفساد في هذا المجتمع السليم، وهو رجل على غاية من الذكاء، وصدق الفراسة، والنظر البعيد، والحيلة الواسعة، والنفاذ إلى نفسية الجماهير، أقطع أنه أحد أبطال جمعية سرية غايتها تقويض الدولة الاسلامية والقضاء على الإسلام، وأكاد أزعم أن هذه الجمعية تعمل لحساب دولة الروم التي انتزع منها المسلمون لسنوات قريبة قطرين كبيرين واسعين غنيين مصر والشام، عدا بلاد أخرى على البحر المتوسط.

والغريب الذي لم أقض منه عجبا أن نشاط هذا الرجل العجيب قد اتسع لتعهد ميادين مختلفة: الميدان الديني والميدان السياسي والميدان الحربي، فقد أراد

نسف العقيدة الإسلامية من أساسها حين اختلق للمسلمين عقيدتين زائفتين: الرجعة والوصية». [١٦٥]

ويقول الافغاني في موضع آخر:

«هكذا صار ابن السوداء بما له من استخبارات يتسقط الناقمين واحدا واحدا ممن نالهم عقوبة أو تأديب من عامل خليفة، أو ممن له طموح إلى منفعة لم يصل إليها... فجعلهم حزبه وبطانته وألف بينهم حتى صار له في كل بلد جماعة منظمة هي كالفروع لحزب خطر هدام» [١٦٦].

أما الدكتور عبدالعزيز الدوري فلم يعرض في تحليله الممتاز لأسباب الفتنة ودوافعها. [١٦٧] لابن سبأ والسبأية إطلاقا وهذا يعني ضمنا أنه لا يقر أنه كان لابن سبأ دور فيها، بيد أنه أشار إلى السبأية في معرض دراسته لثورة المختار فذكر أن المختار استغل السبأية وشجع آراءهم الغريبة. [١٦٨]

وقد قام الدكتور عبدالرحمن بدوي بنقل آراء جماعة من المستشرقين عن «ابن سبأ» ثم تولى بعد ذلك نقد آراء بعضهم خصوصا المستشرق الايطالي كايتاني وموقف الأخير من رواية سيف بن عمر ويرى الدكتور بدوي:

... أن عبدالله بن سبأ شارك ـ سرا وعلى استحياء ـ في هذه الفتنة، ثم لما تولى علي الخلافة كان من أشد أنصاره تحمسا، ولا بد أنه بدأ ببث أفكاره الخاصة بأحقية علي في الخلافة، ليس فقط من عثمان بل من أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، على أساس أنه «وصي» النبي كما كان يوشع بن نون وصي موسى. ومن الواضح أن ابن سبأ قد أتى بكل الجهاز العقلي الذي كونته لديه اليهودية خصوصا في صورها الممزوجة بالمسيحية المنحولة عند الفلاشا، يهود الحبشة، وراح يطبقه على الاسلام.

على أن تشكيك كايتاني إنما ينصب على كون ابن سبأ قد دبر مؤامرة بهذا الاحكام والتنظيم: من بث الدعاة، وإثارة الشكوك، وإذاعة الأراجيف، ورأى أن مؤامرة بهذا الاحكام لا يمكن تصور حدوثها في العالم الاسلامي عام ٣٥هـ بنظامه القبلي، وأنها تعكس بالأحرى أحوال العصر العباسي. ولكن هذا الافتراض من

جانب كايتاني لا مبرر له من الوقائع التاريخية: إذ من الثابت أن مؤامرة دبرت ضد عثمان، وأنها بدأت في مصر واشترك فيها بعض أهل المدينة، وكان من هؤلاء عبدالله بن السوداء (أو ابن سبأ) فماذا يريد كايتاني إذن أن ينكر؟ وما معنى التحدث عن النظام القبلي في ذلك العصر، وكانت الخلافة الاسلامية قد استقر وضعها كسلطة سياسية فوق النزاعات القبلية؟ وهل كان مقتل عثمان لأسباب قبلية؟ إن تدبير المؤامرة ضد عثمان كان تدبيرا سياسيا فوق مستوى الخلافات القبلية، ولم يكن من السعة والبراعة والإحكام بحيث يحتاج إلى تصور أن ذلك غير ممكن الوقوع قبل العصر العباسي.[١٦٩]

ولنا بعض الملاحظات على وجهة نظر الدكتور بدوي:

يظهر أنه كان في تصويره لابن سبأ متأثرا بآراء فريدلاندر. ويرى الدكتور بدوي أن ابن سبأ شارك في الفتنة سرا وعلى استحياء، والحقيقة أننا لا ندري ما الداعي إلى «الاستحياء».

أما أنه لما تولى علي الخلافة أصبح ابن سبأ من أشد أنصاره تحمسا فهذا أمر لم تقله «روايات سيف بن عمر» والتي يؤمن بها الدكتور بدوي إيمانا شديدا بل هي تقول عكس ذلك. فسيف بن عمر لم يذكر أبدا أنه تم لقاء أو اتصال مباشر بين الخليفة علي وابن سبأ. صحيح أن سيفا ذكر أن ابن سبأ كان من رؤساء ثوار المصريين لكنه لم يورد له أي ذكر أو دور في المدينة إبان حصار الخليفة عثمان وقتله وتولي علي الخلافة بعده.

أما في البصرة فقد كان ابن سبأ ـ حسب رواية سيف ـ يتآمر ضد الخليفة علي ويحبط كل مساعيه الرامية لتجنب الحرب. ثم اختفى ابن سبأ من مسرح الأحداث بعد معركة الجمل حسب رواية سيف. أما كتب الفرق فتجعله يظهر فجأة في أواخر خلافة علي أي بعد معركة صفين ولا تذكر له صلة بالأحداث السابقة ثم تنقطع أخباره فيها بعد مقتل علي.

وإذا كنا نتفق مع الدكتور بدوي انه «من الثابت أن مؤامرة دبرت ضد الخليفة عثمان «فليس هناك ما يثبت أن ابن سبأ المزعوم كان له وجود فيها إذ لم يذكره أحد

من رواة الأخبار غير سيف بن عمر، فلماذا إذا يتجاهله تماما كل رواة الأخبار والمؤرخين المبكرين، فهل كان سكوتهم عنه مؤامرة منهم وسيف سرب هذا السر الخطير!

ونتفق معه أيضا أن الخلافة الاسلامية استقر وضعها كسلطة سياسية إلا أن النظام القبلي كان قائما في تركيب المجتمع الاسلامي، في تركيب جيوش الفتوح، وفي تخطيط الأمصار، وفي أفكار معظم أفراد المجتمع، وأخذ الشعور القبلي يعود شيئا فشيئا، وكذلك الامتعاض من السلطة المركزية في المدينة وممثليها الذين هم ولاة الأمصار حتى وصل ذلك الشعور والامتعاض إلى قمته وتجسد في الفتنة، ونحن نتفق مع الدكتور الدوري في قوله: «إن الثورة على عثمان تمثل ثورة القبائل على قريش بالدرجة الأولى، وهي انتصار للتيار القبلي على التيار الاسلامي. وقد ذهب عثمان ضحية ظروف لم تكن من صنعه، إنما هي نتيجة تطور الأمة الاسلامية وتبدل ظروفها.»(١٧٠)

ويستمر الدكتور بدوي في عرض وجهة نظره ويقول مدافعا عن سيف بن عمر:

أما تشكيك فرييد لندر وفولهوزن في رواية سيف بن عمر استنادا إلى ما يورده الذهبي فهو أيضا لا محل له، لأن كلام الذهبي يتعلق بسيف بن عمر بوصفه محدثا لا بوصفه مؤرخا أو إخباريا ... والطعن فيه - إن صح - فيما يتعلق بالحديث لا ينسحب بالضرورة على الأخبار التي يرويها. وفضلا عن ذلك، فهل هناك مصدر آخر معاصر له أو أسبق منه ينكر شيئا مما قاله عن عبد الله بن سبأ؟ لم نعثر على مصدر آخر ينكر روايته هذه فلا مناص من اتخاذها إلى أن يظهر مصدر أوثق منه ينفيه أو يعدل من روايته.(١٧١)

ونحن نتفق مع الدكتور بدوي بأن أحكام أصحاب الحديث على الإخباريين والمؤرخين يجب ألا تؤخذ كما هي إذ أنهم يحكمون عليهم كمحدثين لا كإخباريين ومؤرخين، ومعظم الإخباريين مثل ابن اسحاق والواقدي وأبي مخنف وهشام الكلبي وغيرهم يتمتعون بسمعة سيئة لدى أصحاب الحديث.

ونضيف بأن آراء أصحاب الحديث في سيف عند الذهبي يوجد مثلها عند ابن حجر العسقلاني(١٧٢) وعلى الرغم من هذا فكل من الذهبي وابن حجر ينقلان

روايات سيف التاريخية في كتبهما، وقد نقلنا رواية سيف في تاريخ الذهبي في صدر هذا البحث ويوجد أيضا في تاريخ الذهبي روايات لسيف منقولة من تاريخ الطبري وأسقطت اسانيدها. ويقول سزجين عن «كتاب الفتوح» لسيف: ذكره ابن حجر كثيرا في «الاصابة» وأفاد منه. . . وقد أخذ ابن حجر قسما كبيرا من هذا الكتاب بطريق السماع أو القراءة . . . كما أخذ قسما آخر منه بطريق الكتابة. . . »[١٧٣]

وما ذكرناه يدعم قول الدكتور بدوي ويقوي حجته ولكن القضايا التاريخية لا تعالج حسب حكم أصحاب الحديث على روايتها إيجابا أو سلبا بل إن الروايات نفسها تعرض على محك النقد والتمحيص والمقارنة فإن ثبتت فذلك ما يبحث عنه المؤرخ، وإن هي انهارت فلا قيمة لها بصرف النظر عن مكانة راويها العلمية وسمعته، فقد يكون نقلها بحسن نية وقد يكون وضع اسمه عليها وهو منها براء أو غير ذلك.

وروايات سيف لم تصمد للنقد وكل سمات الوضع فيها. أما تساؤل الدكتور بدوي: فهل هناك مصدر آخر معاصر له أو أسبق منه ينكر شيئا مما ذكره وانفرد به عن «ابن سبأ». ونقول كيف يعرض السابقون له والمعاصرون له «قصة مؤلفة» لم يطلعوا عليها حتى ينكروها. أما المتأخرون فعدم روايتهم لها يعني إنكارها. وقد أورد الطبري نفسه روايات لإخباريين آخرين لنفس الأحداث لم يكن لابن سبأ فيها أي ذكر فما معنى هذا؟ صحيح أن روايات سيف عن الفتنة أطول الروايات التي نقلها الطبري، وهذا عائد إلى اختيار الطبري فحسب وليس إلى قلة الروايات الأخرى. والطبري رحمه الله كان مجتهدا لا يشك في سلامة قصده، وقد قال في مقدمة تاريخه:

فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت من قبلنا، وإنما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا.»[١٧٤]

ونختلف مع الدكتور بدوي حول رواية سيف عن «ابن سبأ» ونقول: بل هناك «مناص من اتخاذها» ويجب أن نطرحها جانبا ونأخذ بالروايات التي يمكن الإطمئنان إليها. والحقيقة أن سيفا عبث بروايات التاريخ الإسلامي خصوصا ماله صلة بالفتنة وما تلاها.

أما الدكتور نايف معروف فيقول: يكاد يتفق المؤرخون ورواة الأخبار على الدور الخطير الذي قام به ابن سبأ وأتباعه في نشأة الفرق الاسلامية. وعلى الرغم من هذا الاجماع فان بعض الباحثين المحدثين الذين تناولوا حكاية «ابن سبأ» كانوا بين منكر لوجوده فيقمصه شخصية عمار بن ياسر كعلي الوردي، وبين من يجعله أسطورة أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع كمرتضي العسكري وعبدالله الفياض، وبين مشكك بدوره أو مقلل من شأنه - إن وجد - كطه حسين . . .

ويلاحظ أن منكري شخصية ابن سبأ إنما يرمون إلى نسف أخبار السبأية، قطعا لما زعم عن صلة بينها وبين التشيع، وردا على المؤرخين الذين يزعمون أن أصل التشيع مأخوذ من اليهودية.»[١٧٥].

وقد أبنا في صدر هذا البحث أنه لم يورد «قصة ابن سبأ» أحد من رواة الأخبار والمؤرخين غير سيف بن عمر، وأن كل من ذكره من المؤرخين المتأخرين كان معتمدا على رواية سيف سواء نقلوها من الطبري أو من كتب سيف مباشرة. وبناء على هذا فلا أعرف كيف يجيز الدكتور معروف لنفسه أن يقول: «يكاد يتفق المؤرخون ورواة الاخبار . . . وعلى الرغم من هذا الاجماع . . .»

أما الدكتور سعدي الهاشمي فالتشكيك عنده بوجود «ابن سبأ» أمر يكيد به المتشككون للإسلام ثم يصنفهم: «بين مستشرق وحاقد، وتابع لهم، ومتقرب الزلفى لمدارسهم، ومسلم جاهل، أو منكر مكابر من بعض شيعة اليوم وهؤلاء وأولئك جانبوا الحق الصريح، وتمسكوا بأقوال متناقضة هي أوهى من بيت العنكبوت»[١٧٦].

وأحدث الدراسات عن «ابن سبأ» رسالة ماجستير لعبدالله العودة، عنوانها: «عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الاسلام»، وقد بذل فيها جهدا كبيرا من حيث استقصاء الكتابات عن «ابن سبأ» في المصادر القديمة والمراجع الحديثة، كما أنه بذل جهدا طيبا في كتابتها إلا أنه في نظري دخل بحثه بأحكام مسبقة، فأخذ يناضل من أجل الدفاع عن هذه الاحكام، فحاد قليلا عن المنهج العلمي، كما أنه قسى في أحكامه على بعض الباحثين بغير وجه حق. وبما أن طبيعة بحثنا لا تسمح لنا في التطويل والتفصيل بحيث نعطي أمثلة لما ذكرناه فنحن نأمل ألا يكون في حكمنا جور عليه.

ومما يلاحظ على منهجه أن ينقل «أخبار ابن سبأ» من كتب الفرق والأدب وهي كثيرة بطريقة توهم القارىء غير المستوعب للموضوع أن هناك تواتر في أخبار ابن سبأ عند معظم مؤلفي هذه الكتب.[١٧٧] بينما أصل هذه الاخبار - في رأيي - لا يتجاوز رواية واحدة أو روايتين على الأكثر تناقلها علماؤنا الأقدمون وتعرضت مع الزمن للزيادة والنقصان شأن معظم الروايات، وقد تكون الزيادة والنقصان نتيجة الخلط أو الوهم أو النسيان وقد تكون مقصودة.

ثم نقل نص رواية «سيف بن عمر» الموجود في الطبري (ت ٣١٠ هـ) حول دور ابن سبأ في أحداث الفتنة ثم أيد هذا النص بالنصوص الموجودة عند بعض المؤرخين المتأخرين وهم ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) في «تاريخ دمشق»، والمقريزي (ت ٨٤٩هـ) في «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، والسيوطي (ت ٨٤٩ هـ) في «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة»، وابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) في «البداية والنهاية» والذهبي (ت ٧٤٨ هـ) في «تاريخ الاسلام»[١٧٨].

ولا أدري إن كان العودة يجهل أن كل تلك الكتب تنقل رواية سيف عن الطبري وهو الأغلب أو مباشرة وهو الأقل، أو كان يعرض ذلك وأراد أن يوهم القارىء أيضا بأنه ليس سيف وحده الذي يروي هذه الأخبار وإنما تؤكده مصادر أخرى حيث قال: «فابن عساكر يؤكد الدور الذي قام به ابن سبأ. . .»[١٧٩].

ويعرض روايات الإخباريين الآخرين عن الفتنة والتي تختلف عن رواية سيف وعددها سبع روايات ثم يقول: «أما توثيقها فيخضع لنقد رجال الإسناد فيها. .»[١٨٠] ثم يرفض أربعا منها وفقا لمنهجه الذي استنه لنفسه، وذلك لوجود ضعف في رجال الإسناد ويقبل الثلاث المتبقية. ثم يقول بعد ذلك: «وبالجملة فالروايات الصحيحة الإسناد تؤكد أن هناك مؤامرة تحاك، وأن أبطالها غير بارزين، فإذا ما عدنا إلى روايات الأخباريين الثلاث (أبي مخنف، سيف الواقدي . . .)[١٨١]». ثم رفض روايتي أبي مخنف والواقدي ويقول: «وخلافا لروايتي أبي مخنف والواقدي تظهر الروايات الصحيحة. . .[١٨٢] اما الروايات عنده فهي روايات سيف إذ يقول مباشرة: «وهنا نأتي إلى رواية سيف بن عمر المتبقية لنا لعلها تشفي الغلة وتقضي الحاجة»[١٨٣] ثم سرد نص سيف.

وعندما عرض سيفا على أحكام رجال الجرح والتعديل ذكر سبعة أقوال لهم فيه، تتراوح أحكامهم فيها عليه: بالضعف، واتهامه بوضع الأحاديث، والزندقة، ولم يثن أحد منهم عليه. وهنا اضطر العودة إلى التخلي عن منهجه في نقد الروايات الذي يخضع لنقد رجال الإسناد فيها فقال:

لابد من التفريق بين رواية الحديث ورواية الأخبار. فعلى الأول تبنى الأحكام وتقام الحدود ... ويختلف الأمر في رواية الأخبار فهي وإن كانت مهمة لاسيما حين يكون مجالها الأخبار عن الصحابة، إلا أنها لا تتمخض عن أحكام ملزمة، إذ أن كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد سوى صاحب هذا القبر كما قال الإمام مالك رحمه الله، ومن هناك فلابد من مراعاة هذا المقياس على «سيف» محدثا واخباريا[١٨٤].

إن المنهج الذي ذكره العودة آنفا هو المنهج الحري أن يتبع في الدراسات التاريخية إلا أنه يقصر استخدام هذا المنهج على سيف وحده، أما الآخرون الذين لا تتفق رواياتهم مع خطه الذي رسمه فيحكم على رواياتهم قبولا ورفضا وفقا لمنهج المحدثين كما فعل في الروايات السبع عن الفتنة حيث رفض الروايات بناء على أحكام رجال الجرح والتعديل على رجال الأسانيد فيها.

ولما لم يجد العودة من يوثق رواية سيف كمحدث من أصحاب الجرح والتعديل لجأ إلى نقل قول الذهبي وابن حجر فيه بأنه: إخباري عارف، وأنه عمدة في التاريخ[١٨٥]. ثم يقول: ويؤيد «حجية» سيف في التاريخ بأن جعله الإمام الطبري مصدرا مهما في نقل الأخبار، كما جعله الذهبي أحد المصادر التي اعتمد عليها في كتابه «تاريخ الاسلام». [١٨٦].

ونحن نقول: أن الطبري وكذلك الذهبي نقلا عن ابن اسحاق وأبي مخنف والواقدي أكثر مما نقلا عن سيف.

كما يلاحظ على العودة أيضا بأنه لم يعرض رجال أسانيد سيف في «قصة ابن سبأ» على أحكام رجال الجرح والتعديل كما فعل مع غيرهم بل أنه ذكر أسماءهم فقط في الهامش وحذف اسم «يزيد الفقعسي»[١٨٧] وهو الذي ينتهي به إسناد سيف في القصة الرئيسية عن «ابن سبأ».

ونستطيع أن نفهم السبب الذي من أجله حذف اسم «يزيد الفقعسي» من الإسناد ولم يتطرق إليه لا من قريب ولا من بعيد، وذلك أنه نكرة حيث لا يوجد له في تاريخ الطبري غير خمس روايات باسناد سيف وهي عن «ابن سبأ» و«وفاة أبي ذر» ولا يوجد له ذكر في كتب الرجال والتراجم. فلو ذكره فما عساه يقول عنه وهو الذي يرفض الروايات بسبب تضعيف رجال الجرح والتعديل لرجال الاسناد فيها، عندما تكون لا تتفق مع وجهة نظره، ويغض الطرف عن السند ورجاله إذا كانت الرواية تؤيد وجهة نظره بل أنها تصبح من «الروايات الصحيحة» و«تشفي الغلة وتقضي الحاجة».

وفي نفس الاسلوب أورد العودة قصة خلاف «أبي ذر مع معاوية» حيث يقول: «وفي ظهور ابن سبأ في الشام يقابلنا في الطبري نصان يعطي كل واحد منهما مفهوما معينا، ثم يقول عن النص الذي نحن بصدده: «ورد الخبر في الطبري هكذا... فأما العاذرون معاوية في ذلك، يعني إشخاص معاوية أبا ذر إلى المدينة فذكروا في ذلك قصة ورود ابن السوداء الشام ولقياه أبا ذر... الخ[١٨٨] وتحاشى العودة ذكر اسناد الخبر لا في النص ولا في الحاشية حتى لا يقع في التناقض، والإسناد هو: «فإنهم ذكروا في ذلك قصة كتب بها إليّ السرى يذكر أن شعيبا حدثه عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي قال: لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر فقال...»[١٨٩].

وانتقد العودة «الامام الطبري» فقال: «والحقيقة أنه ليس هناك مجال للاعتذار عن معاوية فيما صنع فهو لم يفعل شيئا يوجب الدفاع عنه، وحتى حواره مع أبي ذر ثم شكواه إلى الخليفة إنما يمثل الأدب والتواضع من الطرفين».[١٩٠]

ثم يبدي شكه في الرواية ـ فيقول: «وأخيرا فإنه يبقى في النفس شيء من تلك الحادثة، إذ كيف يستطيع يهودي خبيث حتى ولو تستر بالاسلام أن يؤثر على صحابي جليل كان له من فضل الصحبة ما هو مشهود، بل كان له من الاستقلال بآرائه ما يجعله يرفع محجنه فيشج رأس كعب الأحبار حينما اعترض على أبي ذر قائلا: من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه.»[١٩١]

والحقيقة أن هذه الرواية التي يسميها هنا «نص الطبري» وسكت عمدا عن ذكر اسنادها ليست في الحقيقة إلا جزءا من «رواية سيف» التي تقوم عليها رسالته وسماها في مكان آخر من رسالته «الروايات الصحيحة».

ثم لا أدري لماذا يبيح لنفسه أن يشكك في هذه الرواية ويستهجن دور ابن سبأ بينما هو يهاجم غيره من المشككين في دور ابن سبأ فيقول: «ويقابلنا في المسألة رأيان: أولهما يستهجن دور ابن سبأ ويشكك فيما نسبه المؤرخون إليه من أخبار وأنها إلى الخرافة أقرب منها إلى الحقيقة، ثم كان هذا عاملا من عوامل التشكيك في أصل وجوده أو درجة سلم إنكاره.

أما أصحاب الرأي الآخر فيرون أن لو كان ابن سبأ وحده لكان كافيا لتهييج الفتنة.. وإذا كنا نرفض الرأي الأول معتمدين على بيان دوره من خلال دراسة الروايات الصحيحة والجمع بينها ثم دلالتها فنحن أيضا نأخذ على أصحاب الرأي الثاني مغالاتهم في تضخيم دور ابن سبأ ونقف من ذلك موقفا وسطا...»[192].

أي منهج هذا؟ فتارة تكون رواية (سيف - يزيد الفقعسي) مشكوكا في صحتها ويخفي سندها ويسميها «نص الطبري»، وعندما تكون رواية (سيف - يزيد الفقعسي) تتمشى مع وجهة نظره تصبح «الروايات الصحيحة»، ويهاجم الذين يستهجنون دور ابن سبأ ويشككون فيما نسبه إليه المؤرخون.

أما نتيجة بحثه فيقول عنها: «فإنني أخلص من هذا البحث مؤكدا النتائج التالية: أن عبدالله بن سبأ هو أصل التشيع[193]... ولا يستطيع الشيعة البراءة من ابن سبأ والسبأية»[194].

خاتمة :

لقد قمنا في هذا البحث بتحليل روايات سيف بن عمر عن «ابن سبأ» ودوره في أحداث الفتنة في عهدي عثمان وعلي، ودوره في انشاء عقيدة وخلصنا في تحليلنا لتلك الرويات أنها مختلقة ولا أساس لها.

ثم أوردنا النصوص عن «السبأية» في المصادر المتقدمة الأخرى وأوضحنا أنه من خلال استخدامها في تلك المصادر أنها لا تعني جماعة معينة لها عقيدة دينية أو مذهب سياسي محدد، وأنها أطلقت في تلك النصوص على أناس مختلفين وكان يقصد بها في كل الأحوال الذم والتعيير.

وبعد ذلك حللنا الروايات التي حفظها ابن أبي الحديد عن عقيدة ابن سبأ وأصحابه، والرواية المنسوبة إلى الشعبي عن عقيدة ابن سبأ والتي ـ على ما يبدو ـ اعتمد عليها أصحاب كتب الفرق في ذكر عقيدة السبأية، وتوصلنا من خلال نقدنا لها أنها موضوعة.

ثم عرضنا بعد ذلك أقوال وآراء الدارسين المعاصرين العرب والمستشرقين عن «ابن سبأ»، وبينا أن بعضهم قبلوا روايات سيف بن عمر وكتب الفرق وبنوا دراساتهم عليها بل أن بعضا من هؤلاء الدارسين أعطى لابن سبأ دورا أكبر مما أعطته هذه المصادر وأعظموا من شأنه. وفريق آخر قبلوا روايات سيف وكتب الفرق مع أنه يساورهم بعض الشك في أجزاء من تلك الروايات.

وفريق ثالث شكوا في صحة روايات سيف بن عمر عن «ابن سبأ» وبنوا شكهم طبقا لاحكام رجال الجرح والتعديل واتهامه بالضعف والكذب.

والذي نخلص إليه في بحثنا هذا أن «ابن سبأ» شخصية وهمية لم يكن لها وجود، فإن وجد شخص بهذا الاسم فمن المؤكد أنه لم يقم بالدور الذي أسنده إليه سيف وأصحاب كتب الفرق، لا من الناحية السياسية ولا من ناحية العقيدة.

الاحالات على المصادر والتعليقات

١ - يقول ابن سيرين (ت١٠٩هـ): «لقد أتى على الناس زمان (و)ما يسأل عن إسناد الحديث، فلما وقعت الفتنة سئل عن إسناد الحديث، فينظر من كان من أهل البدع ترك حديثه».
الذهبي: سير ٤ : ٦١٣

٢ - ابن النديم: الفهرست ص١٠٦.

٣ - انظر النص الذي اقتبسه العودة (عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة ص١٨٣، ١٨٥) من مخطوطة تاريخ دمشق» ورقة ١٢٤/أ.

٤ - الذهبي: تاريخ الاسلام ٢ : ١٢٢ - ١٢٣.

٥ - انظر: الرازي: كتاب الجرح والتعديل ٦ : ٣٨٢، وابن حجر: تهذيب التهذيب ٧ : ٢٢٤، أما ابن حزم فقال في «جمهرة أنساب العرب» ص٣٩٣: «أبو روق عطية بن الحارث... محدث ضعيف».

٦ - الطبري: تاريخ ٤ : ٩٢ - ٩٣.

٧ - الطبري: تاريخ ٤ : ٢٨٣، ٣٢٦، ٣٤٠.

٨ - الطبري: تاريخ ٤ : ٢٧٧.

٩ - الطبري: تاريخ ٤ : ٣٠٨.

١٠ - الطبري: تاريخ ٤ : ٣٤١، ٤٥٤.

١١ - محمد: هو محمد بن عبدالله بن سودان بن نويرة، وطلحة: هو طلحة بن الاعلم الحنفي. انظر الطبري: تاريخ ٣ : ٤٧٧.

١٢ - الطبري: تاريخ ٤ : ٢٨٣.

١٣ - ولى عثمان عبدالله بن عامر على البصرة وفارس سنة ٢٩هـ.
انظر: ابن خياط: تاريخ ص١٦١ والطبري تاريخ ٤ : ٢٦٤.

١٤ - الطبري: تاريخ ٤ : ٣٢٦ - ٣٢٧.

١٥ - القصص، آية ٨٥.

١٦ - الطبري: تاريخ ٤ : ٣٤٠ - ٣٤١.

١٧ - الذهبي: تاريخ الاسلام ٢ : ١٢٢ - ١٢٣.

١٨ - تجب الاشارة هنا بأن الدكتور مصطفى جواد سبقنا إلى ملاحظة التناقض في روايات سيف (عبدالله بن سبأ، مجلة الرسالة عدد ٧٧٥ سنة ١٩٤٨).

١٩ - الطبري: تاريخ ٤ : ٣٠٨.

٢٠ - الطبري: تاريخ ٤ : ٣٠٩، البلاذري: أنساب ق ٤جـ١ ص٥٤٥ (رواية الواقدي).

٢١ ـ الذهبي: تاريخ الاسلام ٢ : ١١١ (رواية الواقدي وأبي مسهر) سير ٢ : ٣٥٣.

٢٢ ـ الذهبي: سير ٢ : ٧، ١٠، ١١، ٣٣٤.

٢٣ ـ ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤ : ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ابن شبة: تاريخ المدينة ٣ : ١٠٣٤ ـ ١٠٤١، البلاذري: أنساب ق ٤جـ١ ص٥٤١ ـ ٥٤٦، اليعقوبي:تاريخ ٢ : ١٧١ ـ ١٧٣، الذهبي: سير ٢ : ٦٣ ـ ٧٥.

٢٤ ـ ابن شبة:٣ : ١٠٣٧، الذهبي: سير ٢ : ٦٨، ابن الاثير، الكامل، ٣ : ١١٥.

٢٥ ـ ابن سعد:٥ : ٤٧، ٧ : ١٠٨، الطبري تاريخ ٤ : ٣٢٧، البلاذري: أنساب ق ٤جـ١ ص٥٤٧.

٢٦ ـ ابن شبة:٣ : ١١٤٦.

٢٧ ـ الذهبي: سير ٣ : ٥٣١.

٢٨ ـ المسعودي: مروج الذهب ٢ : ٣٥٨.

٢٩ ـ يجب ملاحظة: أن روايات سيف عن عمار بن ياسر خلال إمرته على الكوفة تحمل نقدا ضمنيا لعمار (طبري ٤ : ١٦٠ ـ ١٦٤) بخلاف الولاة من أقارب عثمان حيث أن رواياته تدافع عنهم.

٣٠ ـ إبن خياط: التاريخ ص ١٤٩، الطبري تاريخ ٤ : ١١٢، ١٢٢المسعودي: مروج ٢ : ٣٣٤، الذهبي: سير ١ : ١٣١.

٣١ ـ الطبري:تاريخ ٤ : ١٦٣، الذهبي: سير ١ : ٤٢٣.

٣٢ ـ الطبري:تاريخ ٤ : ١٦٤.

٣٣ ـ الطبري:تاريخ ٤ : ١٦٥.

٣٤ ـ الطبري:تاريخ ٤ : ١٦٥.

٣٥ ـ علي: عبدالله بن سبأ، مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ٥ ص٨١.

٣٦ ـ الطبري:تاريخ ٤ : ٢٥٣.

٣٧ ـ الطبري:تاريخ ٤ : ٢٥٦.

٣٨ ـ إبن خياط: التاريخ ١٥٩.

٣٩ ـ ابن سعد:٣ : ٦٤ (رواية الواقدي).

٤٠ ـ عبد الحميد: دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية ص٢٥، ٢٦.

٤١ ـ عبد الحميد ٢٧.

٤٢ ـ الطبري:تاريخ ٤ ، ٣٤٨.

٤٣ ـ الطبري:تاريخ ٤ ، ٤٣٨.

٤٤ ـ الطبري:تاريخ ٤ ، ٤٨٧ ـ ٤٨٩.

٤٥ - الطبري: تاريخ ٤، ٤٩٣ - ٤٩٥.

٤٦ - الطبري: تاريخ ٤، ٥٠٥.

٤٧ - الطبري: تاريخ ٤، ٥٠٦ - ٥٠٧.

٤٨ - الطبري: تاريخ ٤، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٣٢.

٤٩ - الطبري: تاريخ ٤، ٢٠، ٢١، ٢٢ وما بعدها.

٥٠ - الطبري: تاريخ ٤، ٤٨٨، ٥١٣، ٥٣٧، ٥٤٠.

٥١ - الطبري: تاريخ ٤، ٣٤٩.

٥٢ - الطبري: تاريخ ٤، ٤٧٢.

٥٣ - ابن حجر: الاصابة ٢، ٤٦٨ ترجم لعدي بن حاتم مع الصحابة.

٥٤ - الطبري: تاريخ ٤، ٢٥٣.

٥٥ - ابن حجر: الاصابة ٢، ٤٦٨.

٥٦ - الطبري: تاريخ ٤، ٤٨٥.

٥٧ - الطبري: تاريخ ٤، ٥٠١.

٥٨ - الطبري: تاريخ ٤، ٥٤٣.

٥٩ - الطبري: تاريخ ٤، ٤٩٢ - ٤٩٤.

٦٠ - لقد ذكرنا رأينا في بداية البحث بأنه يحتمل أن لسيف كتاب عن «الفتنة» أو أن «كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي» كان عنوانه الصحيح «كتاب الفتنة والجمل...».

٦١ - الطبري: تاريخ ٥، ٩٦.

٦٢ - ابن سعد: ٦ : ٢٢.

٦٣ - الطبري: ٥، ٧٥، ٨٦.

٦٤ - الرازي: كتاب الجرح والتعديل ٤، ٢٧٨، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢، ٢٥٥، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤، ٢٥٥.

٦٥ - الذهبي: تاريخ الاسلام ٢، ١٢٢.

٦٦ - ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩ : ٣٦٣ - ٣٦٨ وانظر مقدمة الدكتور أكرم ضياء العمري «منتخب من كتاب أزواج النبي» لابن زبالة ص١٢ - ١٣.

٦٧ - سزكين: تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، الجزء الثاني ص١٣٣ - ١٣٤.

٦٨ - الطبري: تاريخ ٤، ٤٥٦ - ٤٥٧.

٦٩ - الطبري: تاريخ ٤، ٤٦٩.

٧٠ - البلاذري: أنساب ٢، ٢٢٣.

٧١ ـ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٦ : ٢١٧، ٢٢٥.

٧٢ ـ أحمد بن حنبل: المسند ٦ : ٥٢، ٩٧.

٧٣ ـ الذهبي: سير ٢ : ١٧٧.

٧٤ ـ الهيثمي: مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٤.

٧٥ ـ ابن كثير: البداية والنهاية ٦ : ٢١٢.

٧٦ ـ أحمد بن حنبل ٦ : ٥٢.

٧٧ ـ سعيد الأفغاني: عائشة والسياسة ص٨٩.

٧٨ ـ محب الدين الخطيب هامش (٢) ص١٦١ «العواصم من القواصم» للقاضي أبي بكر بن العربي.

٧٩ ـ البلاذري: أنساب ٢ : ٢٢٣.

٨٠ ـ الذهبي: سير ٤ : ١٩٨ ـ ٢٠٠.

٨١ ـ الطبري: تاريخ ٤ : ٢٦٣

٨٢ ـ ابن هشام: السيرة ١ : ٦١٧.

٨٣ ـ الواقدي: المغازي ٢ : ٥٦٥.

٨٤ ـ ابن سعد: ٢ : ٩٠.

٨٥ ـ الطبري: تاريخ ٢ : ٦٤٣، ٦٤٤ (رواية لابن اسحاق وأخرى لسلمة بن الأكوع)

٨٦ ـ ابن كثير: ٤ ، ٢٢٠ (رواية الامام أحمد باسناده).

٨٧ ـ الحلبي: السيرة الحلبية ٣ : ١٨٠ ـ ١٨٣ (رواية سلمة بن الأكوع وروايات الواقدي وابن سعد...).

٨٨ ـ الطبري: تاريخ ٤ ، ٤٥٥.

٨٩ ـ الطبري: تاريخ ٤ ، ٥٠٥.

٩٠ ـ الطبري: تاريخ ٤ ، ٤٨٨.

٩١ ـ انظر البلاذري: أنساب ٢ : ٢٣٣ (رواية أبي مخنف)، المسعودي: مروج ٢ : ٣٥٨ (لم يذكر مصادره)، ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ٦ : ١٦ (لم يذكر مصادره)، الذهبي: تاريخ الاسلام ٢ : ١٤٩ (رواية سعيد بن جبير، ورواية السدي).

٩٢ ـ انظر ترجمته في ابن سعد ٦ ، ١٢٣ ـ ١٢٦، الذهبي: سير ٣ : ٥٢٥ ـ ٥٢٨، ابن عساكر تهذيب ٦ ، ١٢ ـ ١٦.

٩٣ ـ ابن سعد: ٦ ، ١٢٤.

٩٤ ـ ابن سعد: ٦ ، ١٢٤.

٩٥ ـ البلاذري: أنساب ق٤جـ٤ ص٥٣٢.

٩٦ - الطبري:تاريخ ٤ ، ٤٧٦ - ٤٧٧ (رواية أبي مخنف).

٩٧ - ابن سعد:٦ ، ١٢٥.

٩٨ - الطبري:تاريخ ٤ ، ٤٨٣.

٩٩ - ابن عساكر:٦ ، ١٤ (والآية ٩٧ سورة التوبة).

١٠٠- الطبري:تاريخ ٥ ، ٥، ٦، ٦١، ١٧٩.

١٠١- البلاذري: أنساب ٢ : ٣٨٢ (طبعة الاعلمي).

١٠٢- انظر ابن قتيبة الامامة والسياسة ١ : ١٣٣ ويلاحظ أن السمعاني (ت ٥٦٢هـ) قد التبس عليه اسم عبدالله بن وهب الراسبي حيث قال: «وعبدالله ابن وهب السبئي رئيس الخوارج وظني أن ابن وهب هذا منسوب إلى عبدالله بن سبأ فإنه من الرافضة وجماعة منهم ينسبون إليه يقال لهم: السبأية» الانساب ٧ : ٢٣ - ٢٤.

١٠٣- انظر ترجمته في الذهبي: سير ٥ : ٢٦٩ - ٢٨٣.

١٠٤- سورة آل عمران: آية ٧.

١٠٥- الطبري: جامع البيان في تفسير آي القرآن ٦ : ١٨٧.

١٠٦- الطبري: تاريخ ٥ : ١٩٣ لكن البلاذري: أنساب ق٤جـ١ ص١٦٩ - ١٧٠ لم يشر في روايته للخبر إلى قول المستورد في معقل.

١٠٧- الطبري: تاريخ ٦ : ٢٥، ٤٤، ٦٦ وقد انضم إلى صفوف المختار معظم رجال القبائل وفقد الأشراف سيطرتهم فاضطروا إلى الهرب إلى البصرة والانضمام إلى معسكر مصعب بن الزبير. ويذكر البلاذري: أنساب ٥ : ٢٢٤ (جويتن) أن ممن كان في صفوف المختار ابراهيم بن الاشتر النخعي وشراحيل وابنه عامر الشعبي.

١٠٨ - الطبري تاريخ ٦ :٨٣، ديوان اعشى همدان ص ١٤٨، الجاحظ: كتاب الحيوان ٢ : ٢٧١، على أن البلاذري: أنساب ٥: ٢٤٢ (جويتن) روى البيت السابق على النحو التالي:

شهدتُ عليكمْ انكم خشبيةٌ وأنِّي بكم ياشرطةَ الكفرِ عارفُ

١٠٩ الفرزدق: ديوان ص ٢٤٢ - ٢٤٣

١١٠ البلاذري: انساب ق ٤ جـ١ ص١٧٦ - ١٧٧

١١١ البلاذري: انساب ق ٤ جـ١ ص٢٤٥

١١٢ الطبري: تاريخ ٥: ٢٧٢

١١٣ الطبري: تاريخ ٥: ٢٦٦

١١٤ البلاذري: انساب ق ٣: ١٤٢ (الدوري)

١١٥ البلاذري: انساب ق ٣: ٢٦٩ (الدوري)

١١٦ علي: مجلة الرسالة، عدد ٧٧٥، سنة ١٦ ص ٥٢٣ ٥٢٤

١١٧ انظر مثلا ابن حزم: الفصل ١: ١٦٥

١١٨ الأشعري ١: ١١١

١١٩ الهمذاني: تثبيت دلائل النبوة ٢: ٥٤٥ - ٥٤٦

١٢٠ الأشعري: ١: ٨٦ - ٨٨
المقدسي: البدء والتاريخ ٥: ١٢٥ - ١٢٦
البغدادي: الفرق بين الفرق ص٢١، ٢٣٣ - ٢٣٥
الاسفرايني: التبصير في الدين ص١٠٨ - ١٠٩
ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والنحل ١: ٣٢٥ - ٣٢٦، ٥: ٤٦ - ٤٧
الشهرستاني: الملل والنحل ١: ١٧٤
السمعاني: كتاب الأنساب ٧: ٢٤
الهمداني: تثبيت دلائل النبوة ٢: ٥٤٩
ابن عبدربه: العقد الفريد ٢: ٢٨١ - ٢١٩

١٢١ البلاذري: أنساب ٢: ١٦٦ (رواية ابن سيرين)، ١٨١ (رواية سويد ابن غفلة).
المفيد محمد بن النعمان: كتاب شرح عقائد الصدق ص ٦٣
الذهبي: سير ٣: ٣٤٦ (رواية عكرمة)

١٢٢ ابن خلدون: ١: ٣٥١
الجاحظ: البيان والتبيين ٣: ٨١، الأشعري: ١: ٨٦
الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٨: ٤٧٦ - ١٧٢
أسامة بن منقذ: كتاب العصا ص٣٨٦
الجرجاني: التعريفات ص٧٩

١٢٣ ابن خلدون: ١: ٣٥١
ابن حبيب: المحبر ص٣٠٨

١٢٤ الجاحظ: البيان والتبيين ٣: ٨١

١٢٥ ابن قتيبة: المعارف ص٦٢٢

١٢٦ ابن ابي الحديد: ٥: ٥

١٢٧ ابن ابي الحديد: ٥: ٥ - ٦

١٢٨ ابن ابي الحديد: ٥: ٦ - ٧

١٢٩ البيان والتبيين ٣: ٨١ ويبدو أن أسامة بن منقذ: «كتاب العصا» ص٣٨٦ نقل نص الجاحظ.

١٣٠ تاريخ بغداد ٨: ٤٨٧ - ٤٨٨ وقد نقل نص الخطيب البغدادي ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ٥: ٣٧٢ - ٣٧٣

١٣١ الفرق بين الفرق ص ٢٣٥

١٣٢ الطبري: تاريخ ٥: ١٢٦

١٣٣ الطبري: تاريخ ٣: ٢٤٤

١٣٤ الطبري: تاريخ ٥: ٧٥, ٨٨

١٣٥ الطبري: تاريخ ٤: ٦٥، ٥: ١٥٩، البلاذري: انساب ٣: ٣٥ ـ ٣٦

١٣٦ الطبري: تاريخ ٥: ٤٥٩، الدينوري ص٢٦٠، ابن عساكر ٥: ٣٧٢

١٣٧ الطبري: تاريخ ٥: ٢٧٠

١٣٨ الطبري: تاريخ ٦: ١٨ ـ ٢١، ٢٥ وما بعدها، البلاذري: أنساب ٥: ٢٢٤، ٢٣١

١٣٩ الطبري: تاريخ ٦: ٢٤٣، ونسب ابن حجر: الاصابة ١: ٥٧٦ القول السابق إلى علي بن أبي طالب في زحر، وتجدر الاشارة إلى أن ابنه جبلة بن زحر انضم لصفوف ابن الأشعث لقتال الحجاج في معركة دير الجماجم وقد قتل في المعركة. الطبري ٦: ٢٤٩، ٣٥٨.

١٤٠ عبدالحميد: ص ٤٠

١٤١ ابن حزم: ١: ١٦٥

١٤٢ المقدسي: ٥: ١٢٩

١٤٣ الشهرستاني: ١: ١٩٠

١٤٤ الشهرستاني: ١: ١٥٨، وقد نقل الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٦: ٤٠١، ٤٠٢ بأسانيد مختلفة بأن سبب حبس المنصور لأبي حنيفة هو رفضه أن يتولى القضاء.

١٤٥ لم ييسر لى الاطلاع على كتابي مرتضي العسكري «عبدالله بن سبأ وأساطير اخرى» و«عبدالله بن سبأ» وكذلك كتاب الوردي «وعاظ السلاطين» اذ لم أجدها في مكتبات المملكة العربية السعودية ولكني اطلعت على بعض آرائهما من خلال نقولات العودة في رسالته «عبدالله بن سبأ. . »، ونايف محمود معروف في كتابه «الخوارج في العصر الأموي» ومارتن هاينز: *Hinds: «Sayf b. ʻUmar's Sources in Arabia* ضمن أبحاث:

مصادر تاريخ الجزيرة العربي الجزء الثاني، القسم الانجليزي ص٤. على أن هذا لا يغني عن الاطلاع على تلك الكتب ـ راجيا ان يتم ذلك قريبا ـ حيث أن كلا المؤلفين يشكان في وجود ابن سبأ.

١٤٦ لا نعرف تاريخ وفاته ولكن آخر عمل طبع له ١٩١١م، أنظر العقيقي: المستشرقون ٢: ٧٢٤

١٤٧ نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية ١: ٥١ *Encyclopedia of Islam N.E. Vol. I,p.51.*
وعبدالرحمن بدوي: مذاهب الاسلاميين ٢: ٢٠

١٤٨ فان فلوتن: الشيعة والاسرائيليات ص٨٠ ـ ٩١

١٤٩ فلهوزن: الخوارج والشيعة ص١٧٠

١٥٠ فلهوزن: ص١٦٨

١٥١ نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية ١: ٥١ *Encyclopedia of Islam N.E. Vol. L,p. 51*

١٥٢ نقلا عن بدوي: ٢: ٣٠

١٥٣ نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٥١ E.I. (2) Vol. L,p. 51

١٥٤ نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٥١ E.I. (2) Vol. L,p. 51

١٥٥ الرسالة عدد ٧٧٥، سنة ١٦ ص٥٢٥

١٥٦ الرسالة عدد ٧٧٥، سنة ١٦ ص٥٢٤

١٥٧ الرسالة عدد ٧٧٧، سنة ١٦ ص ٥٨٢

١٥٨ الرسالة عدد ٧٧٧، سنة ١٦ ص٥٨٤

١٥٩ الرسالة عدد ٧٧٨، سنة ١٦ ص ١٧٠ - ٦١١

١٦٠ الرسالة عدد ٧٧٨، سنة ١٦ ص ٦١١

١٦١ مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٥ ص٩٠

١٦٢ مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٥ ص ٩٢

١٦٣ طه حسين: الفتنة الكبرى (عثمان) ص١٣٢ - ١٣٤

١٦٤ أحمد أمين: فجر الاسلام ص٢٥٤

١٦٥ سعيد الأفغاني: عائشة والسياسة ص٤٨

١٦٦ الأفغاني: ص٥١

١٦٧ الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ص٤٨ - ٦٢

١٦٨ الدوري: ص ٦٨، ٦٩

١٦٩ بدوي: ٢ : ٣٥

١٧٠ الدوري: ص٥٧

١٧١ بدوي: ٢ : ٣٦

١٧٢ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤ : ٥٠٦

١٧٣ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، الجزء الثاني ص١٣٤

١٧٤ الطبري: تاريخ ١ : ٨

١٧٥ معروف: الخوارج في العصر الأموي ص ٤٢

١٧٦ نقلا عن عبدالله العودة: «عبدالله ابن سبأ وأثره في احداث الفتنة في صدر الاسلام» ص١٠٩ وقد اقتبسه العودة من «محاضرات الجامعة الاسلامية» عام ٩٨/١٣٩٩ هـ، محاضرة سعدي الهاشمي: ابن سبأ حقيقة لا خيال ص٢٠١

١٧٧ العودة: ص٦٧ - ٧٨

١٧٨ العودة: ص١٨٤ - ١٨٦

١٧٩ العودة: ص١٨٤

١٨٠ العودة: ص١٧٤

١٨١ العودة: ص١٨٠

١٨٢ العودة: ص٨١ ولا يعني هذا أننا نقبل رواية أبي مخنف والواقدي ولكن الحكم على روايتهما وغيرهما خارج عن موضوع دراستنا وهو «ابن سبأ» .

١٨٣ العودة: ص١٨٢

١٨٤ العودة: هامش (٧) ص١٣٠

١٨٥ العودة: ص١٣١

١٨٦ العودة: ص ١٣١

١٨٧ العودة: ص ١٨٣

١٨٨ العودة: ص٦١

١٨٩ الطبري: تاريخ ٤ : ٢٨٣

١٩٠ العودة: ص٦٤

١٩١ العودة: ص٦٤

١٩٢ العودة: ص ١٨٧ ـ ١٨٨

١٩٣ العودة: ص ٢٨٧ وهو في ذلك يتابع إحسان إلهي ظهير : الشيعة والسنة ص٥٧، ٦٠، ٦٣، ٦٥ .

١٩٤ العودة: ص٩٠

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد هبة الله
شرح نهج البلاغة. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط٢، ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥م.

٣ - ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم.
الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥م.

٤ - أخبار صفين لمؤلف مجهول (مخطوطة امبروزيانا H 129 ومخطوطة برلين Q.U. 40 20) حققه عبدالعزيز الهلابي كجزء من رسالة الدكتوراه وقدمه لجامعة St. Andrews Univ. ولم تنشر بعد.

٥ - الإسفراييني، أبو المظفر شاهفور بن طاهر.
التبصير في الدين: تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري. مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، ١٣٧٤ ه/١٩٥٥م.

٦ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين. تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد. مكتبة النهضة المصرية. ط١، ١٣٦٩ هـ/١٩٥٠م.

٧ - أعشى همدان
ديوان أعشى همدان، تحقيق: د. حسن عيسى أبو ياسين. دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م.

٨ - الأفغاني، سعيد
عائشة والسياسة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٥٧.

٩ - أمين، أحمد
فجر الاسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١ ١٩٦٩م.

١٠ - بدوي، عبدالرحمن.
مذاهب الاسلاميين. (الجزء الثاني)، دار العلم للملايين، بيروت.

١١ ـ البسوي، أبو يوسف يعقوب بن شعبان.
كتاب المعرفة والتاريخ. تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١ هـ/١٩٨١م.

١٢ البطليوسي، أبو محمد بن عبدالله
كتاب التنبيه على الأسباب التي أوجبت الإختلاف بين المسلمين. تحقيق: أحمد حسن كحيل د. حمزة النشرتي، دار الاعتصام، ط١، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م.

١٣ ـ البغدادي، عبدالقاهر بن ظاهر.
الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر.

١٤ ـ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر.
انساب الأشراف
الجزء الاول: تحقيق: د. محمد حميد الله دار المعارف بمصر
الجزء الثاني: تحقيق: محمد باقر المحمودي، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط١، ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤م .
الجزء الثالث: تحقيق: محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م.
القسم الثالث، تحقيق: د. عبدالعزيز الدوري. دار نشرفرانتس شتايـز، فايسبادن، وبيروت، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م.
القسم الرابع، الجزء الأول ، تحقيق: إحسان عباس، دار نشر فرانتس شتاينر بفيسبادن وبيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
الجزء الخامس تحقيق: جويتن، القدس، ١٩٣٦م، أعادت طبعه بالاوفست مكتبة المثنى ببغداد.

١٥ ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر.
البيان والتبيين . تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤ .

١٦ ـ **الحيوان.** تحقيق عبدالسلام هارون. المجمع العلمي (تصوير) بيروت.

١٧ ـ الجرجاني ، على بن محمد.
كتاب التعريفات. المطبعة الوهبية، مصر، ١٢٨٣ هـ .

١٨ ـ ابن حبيب، ابو جعفر محمد بن حبيب بن أمية.
كتاب المحبر. تحقيق د. ايلزه ليختن شتيتر. دار الآفاق بيروت.

١٩ ـ ابن حجر، أحمد بن علي.
الإصابة في تمييز الصحابة. دار الفكر، بيروت ، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م.
٢٠ ـ **تهذيب التهذيب**. نشر مجلس دائرة المعارف بحيدر أباد الدكن بالهند.
٢١ ـ ابن حزم ، أبو محمد، علي بن أحمد.
جمهرة أنساب العرب. دار الكتب العلمية (تصوير) بيروت، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م.
٢٢ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل**. تحقيق د. محمد ابراهيم نصر، ود. عبدالرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ، / جدة ط١ ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م .
٢٣ ـ حسين، د. طه
الفتنة الكبرى: عثمان ط١ ، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م.
٢٤ ـ الحلبي ، علي بن برهان الدين.
السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م .
٢٥ ـ ابن حنبل، الإمام أحمد.
المسند، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دار صادر، بيروت الخطيب
٢٦ ـ البغدادي، أحمد بن علي.
تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٧ ـ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد.
كتاب العبر وديوان المتبدأ والخبر. دار الكتاب اللبناني بيروت.
٢٨ ـ ابن خياط، خليفة
تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق د. أكرم ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢، ١٣٩٧ هـ /١٩٧٧م .
٢٩ ـ **كتاب الطبقات**. تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة الرياض، ط٢، ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢م.
٣٠ ـ الدوري، د. عبدالعزيز
مقدمة في تاريخ صدر الاسلام. المطبعة الكاثوليكية، بيروت ط٢، ١٩٦٠م.
٣١ ـ الدينوري، أبو حنيفة، أحمد بن داود.
الاخبار الطوال. تحقيق عبدالمنعم عامر. أعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد.

٣٢ ـ الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان.
تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام. مكتبة القدس ، القاهرة ١٣٦٧ هـ
٣٣ ـ **سير أعلام النبلاء**. تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الاسد. مؤسسة الرسالة، / سير بيروت، ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢م.
٣٤ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**. تحقيق محمد، على البجاوي دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٨٢ هـ/١٩٦٣م .
٣٥ ـ الرازي ، أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم.
كتاب الجرح والتعديل. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن، الهند، ١٣٧١ هـ /١٩٥٢م (تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت) .
٣٦ ـ سزكين، د. فؤاد.
تاريخ التراث العربي. نقله الى العربية د. محمود حجازي نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م.
٣٧ ـ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري.
الطبقات الكبرى. دار صادر، بيروت
٣٨ ـ السمعاني ، عبدالكريم بن محمد.
الانساب. تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي. نشر محمد أمين دمج، بيروت ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م.
٣٩ ـ سيف بن عمر
الفتنة ووقعة الجمل. جمع وتصنيف: أحمد راتب عرموش، دار النفائس ط٢، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧٢ م
٤٠ ـ الشابي، علي وزملاؤه
المعتزلة بين الفكر والعمل. الشركة التونسية للتوزيع.
٤١ ـ ابن شبة، أو زيد عمر بن شبة
تاريخ المدينة المنورة. تحقيق فهيم شلتوت، نشر السيد حبيب محمود. دار الاصفهاني للطباعة بجدة ١٣٩٩هـ .
٤٢ ـ الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم.
الملل والنحل. تحقيق محمد سيد الكيلاني. دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٤٣ ـ صفوت، أحمد زكي.
جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ط١، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م.

٤٤ ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير.
تاريخ الرسل والملوك. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ط٣.

٤٥ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق محمد محمود شاكر، دار المعارف بمصر، ط٢.

٤٦ ـ طعيمة، د. صابر.
دراسات في الفرق. مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٤٧ ـ ظهير، احسان الهي.
الشيعة والسنة. ادارة ترجمان السنة، لاهور باكستان، ط١١.

٤٨ ـ ابن عبدالحكم، عبدالرحمن بن عبدالله.
فتوح مصر وأخبارها. تحقيق تشارلز توي، مكتبة المثنى، بغداد، نسخة مصورة عن طبعة ليدن ١٩٢٠م.

٤٩ ـ عبد الحميد، د. عرفان.
دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٥٠ ـ ابن عبد ربه، أحمد بن محمد.
العقد الفريد. تحقيق محمد سعيد العريان. المكتبة التجارية الكبرى.

٥١ ـ ابن العربي، القاضي أبوبكر.
العواصم من القواصم. تحقيق محب الدين الخطيب، مصر.

٥٢ ـ ابن عساكر، علي بن حسن بن هبة الله.
تهذيب تاريخ دمشق. هذبه الشيخ عبدالقادر بدران، دار المسيرة بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥٣ ـ العقيقي، نجيب.
المستشرقون. دار المعارف بمصر ١٩٦٤م.

٥٤ ـ علي، د. جواد.
«عبدالله بن سبأ» مجلة الرسالة، الأعداد ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨ (سنة ١٩٤٨م).

٥٥ ـ **«عبدالله بن سبأ»** مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الخامس ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م) ص٦٦ ـ ١٠٠.

٥٦ ـ العمري، د. أكرم ضياء العمري.
مقدمته لمنتخب من كتاب **أزواج النبي** لمحمد بن الحسن بن زبالة نشرته الجامعة الاسلامية بالمدينة، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥٧ ـ العودة، عبدالله بن سليمان.
عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة... (رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ولم تنشر بعد).

٥٨ ـ الفرزدق، همام بن غالب.
ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت.

٥٩ ـ فلهوزن، يوليوس.
أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الاسلام: الخوارج والشيعة. ترجمة عن الالمانية د. عبدالرحمن بدوي. وكالة المطبوعات، الكويت، ط٢، ١٩٨٦م.

٦٠ ـ فلوتن، فان.
السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية. ترجمة عن الفرنسية د. حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط٢، ١٩٦٥م.

٦١ ـ ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم.
المعارف. تحقيق ثروت عكاشة. دار المعارف، ط٢.

٦٢ ـ **كتاب الامامة والسياسة** منسوب لابن قتيبة. تحقيق طه محمد الزيني. مؤسسة الحلبي وشركاه القاهرة.

٦٣ ـ ابن كثير أبو الفداء اسماعيل بن عمر.
البداية والنهاية. مكتبة المعارف، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٦٤ ـ الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف.
كتاب الولاة وكتاب القضاة. تحقيق رفن كست. مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م (أعادت تصويره مكتبة المثنى).

٦٥ ـ لويس، برنارد.
أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرامطة. ترجمه عن الانجليزية حكمت تلحوق، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

٦٦ ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين.
التنبيه والاشراف، دار الهلال، بيروت، ١٩٨١م.

٦٧ ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٦٨ ـ معروف، د. نايف محمود.
الخوارج في العصر الاموي. دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٦٩ ـ المفيد، محمد بن النعمان.
كتاب شرح عقائد الصدق أو تصحيح الاعتقاد. نشر: واعظ جراندلي، تبريز، ط٢، ١٣٧١هـ.

٧٠ ـ المقدسي، مطهر بن طاهر.
كتاب البدء والتاريخ. نشره كلمان هوار، باريس ١٨٩٩م.

٧١ ـ المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي.
كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. دار صادر، بيروت.

٧٢ ـ ابن منقذ، أسامة.
كتاب العصا. تحقيق حسن عباس. الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية.

٧٣ ـ المنقري، نصر بن مزاحم.
وقعة صفين. تحقيق عبدالسلام هارون. المؤسسة العربية الحديثة ومكتبة الخانجي، مصر، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٧٤ ـ ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب اسحاق.
كتاب الفهرست. تحقيق رضا تجدد.

٧٥ ـ نعناعة، د. محمد رمزي.
الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، دار القلم، دمشق، ودار الضياء، بيروت، ط١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

٧٦ ـ ابن هشام، محمد بن عبدالملك.
السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا وزملائه، دار الكنوز الادبية.

٧٧ ـ الهمذاني، عبدالجبار بن أحمد.
تثبيت دلائل النبوة. تحقيق د. عبدالكريم عثمان. الدار العربية للطباعة والنشر، والتوزيع، بيروت.

٧٨ ـ الهيثمي، علي بن أبي بكر.
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٣هـ.

٧٩ ـ الواقدي، محمد بن عمر بن واقد.
كتاب المغازي. تحقيق د. مارسدن جونز، عالم الكتب، بيروت ١٩٦٦م

٨٠ ـ أحمد اليعقوبي، أحمد بن اسحاق.
تاريخ اليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٨١ The Encyclopedia of Islam, New Edition, Volume 1, Leiden, E.J. Brill, London Luzac & Co.
Hinds, M.

٨٢ ـ Sayf B. Umar's Sources on Arabia, Published in Sources for the History of Arabia, Part 2, pp. 3-16 Riyadh University Press, Riyadh, 1979.
Petersen, E. L.

٨٣ ـ Studies on the Historiography of the «Ali-Mu» awaiyah Conflict, Acta Orientalia, Vol. XXVII, pp. 83-118, Havnie, 1963.

Kuwait University

ANNALS OF THE FACULTY OF ARTS

ABDULLAH IBN SABA: A STUDY OF THE HISTORICAL RESOURCES CONCERNING HIS ROLE IN AL-FITNAH

Dr. Abdul-Aziz S. Al-Helaabi
Department of History - King Saud University

VOLUME VIII
FORYT - FIFTH MONOGRAPH

1407 - 1408
1986 - 1987